المجلد الاول | الجزء ٢ و ٣ | السنة الاولى

الفجر

1338

قيمة اشتراكها عن سنة ستون فرنكا | اجرة الاعلانات يتفق فيها مع الادارة | محل ادارة المجلة شارع باب البنات ٤٦ بتونس

تونس - سبتمبر واكتوبر ١٩٢٠ الموافق ذي الحجة ١٣٣٨ ومحرم ١٣٣٩

مجلة علمية عمرانية اخلاقية تصدر مرة في كل شهر

يحررها نخبة من علية الكتاب

« فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه »

« اولئك الذين هداهم الله واولئك هم الو الالباب »

« قرآن شريف »

المطبعة التونسية نهج سوق البلاط عدد ٥٧ - بتونس

بسم الله الرحمن الرحيم

التربية والاخلاق

(بعثت لاتمم مكارم الاخلاق)

(حديث شريف)

انما الامم الاخلاق ما بقيت * فان همو ذهبت اخلاقهم ذهبوا

ان من مقومات الامم ومميزات الشعوب وروابط افراد الامة ومكونات هياتها الاجتماعية. ما عرفت به من الاخلاق وامتازت به من العوائد. وان كل امة تحافظ على قوميتها وتهتم بجامعتها وتعنى بحفظ هياتها وتريد ان تعيش بصفتها امة ممتازة على غيرها مباينة لسواها لا تالو جهدا في التمسك بما عرفت به من الاخلاق الفاضلة والسجايا الجميلة والعوايد الحسنة فتعض على ذلك بالنواجذ وتقبض عليها بيد من حديد وتجعلها الاساس المتين في تربية ناشيتها وتهذيبها والوسيلة الفعالة في غرس المحبة القومية في نفوسها فير تضع الصبي افاويقها وهو في حضن امه وتتاثر منها حواسه وهو في بيت ابيه ويتلقفها من افواه اترابه ويتلقاها من مودبيه. ويدرك سرها ويفقه

لبها عند ما يدخل رياض المدرسة من تعاليم اساتذته و نصائح مرشديه. فتنطبع تلك الصور الجميلة في مرآت فكره الصقيلة انطباعا هيهات ان تمحوه يد الاغيار او تشتت اصوله حوادث الدهر و تقلبات الزمان

ذلك شان الامم الراقية التي تعرف ما للمحافظة على اخلاقها من المزايا التي تكفل لها بقاء قوميتها وصون هيكل جامعتها من التداعي و الانهدام - و تحوط حوزتها عن الامتزاج و الاندماج

الامة التي لا تتمسك باخلاقها و لا تحافظ على مميزاتها لا تلبث ان تضمحل من بين الامم. و تندمج بقاياها الحقيرة في سلك غيرها. تملصا من الويلات التي تنصب عليها و تسترا من اللعنات المتساقطة عليها كل حين وآن و انقيادا لسنة ميل الضعيف الى تقليد القوي في عوايده و ازيائه لاعتقاده الكمال في جميع احواله بذلك تضمحل الامم و تنقرض الشعوب و تصبح اثرا بعد عين

عرفت الشعوب الاسلامية (والشعب التونسي عضو من ذلك الجسم) بكثير من الاخلاق السامية والشيم العالية. التي اجمع العقلاء على استحسانها. و جاهد الفلاسفة و دعاة الفضيلة في سبيل نشرها. و امتازت من بين الامم بجليل المناقب و كريم الخصال كالصدق و الحياء و نزاهة والغيرة والنجدة و الكرم و المروة والنصح والوفاء الى غيرها من شعب مكارم الاخلاق. والفضل في ذلك لدينها الحنيف دين الفطرة و الكمال ذلك الدين الذي جاء آمرا بمجاهدة النفس في سبيل الخير و كبح جماحها في ميدان الشهوات والواء عنانها عن طريق الغي والهوى. الى منهج الحق والهدى وقهرها على السير في محجة القصد و الاعتدال والتوسط

في كل الاحوال (وما الفضايل إلّا الوسط بين الافراط والتفريط) - جاء الدين الاسلامي بنهاية ما تحلم به افكار الفلاسفة وتطمح اليه دعاة الفضيلة ونصراء الانسانية من بث الفضائل والخيرات. والقضاء على المفاسد والمنكرات. صدعت بذلك آى الكتاب الحكيم وسطعت به السنة النبوية الواضحة. ووطدت دعائمه الاثار السلفية الصالحة

سار المسلمون على سنن الفضيلة والاخلاق الراقية زمنا ليس بالقصير بفضل تمسكهم بدينهم الحنيف. وشدة تاثيره عليهم واذعانهم لامره وانقيادهم لسلطانه انقياد ابعثهم على تتبع آثار نبيهم واسلافهم الصالحين ومحاكاتهم في كمال الاخلاق وكرم الطباع وجليل الاعمال. اعتنوا بذلك جد الاعتناء فدونوا ما ورد في ذلك من الحث والترغيب. والوعيد والترهيب. ثم لما اتسعت معلوماتهم. واينعت حضارتهم ونقلوا الى لسانهم كتب الامم قبلهم اضافو الى اوامر دينهم في التخلق بكريم الاخلاق كثيرا من نفثات الفلاسفة وحكم الحكماء على وجه التاثير والايضاح والبيان ولم يقفوا عند هذا الحد (شانهم في كل علم) بل انهم تفلسفوا فى ذلك وشرحوا ووضحوا ودونوا آراهم ومذاهبهم في النفس والروح والعقل والطبع ومقدار تاثير التربية والتهذيب وعرف ذلك عندهم بعلم ادب النفس وفلسفة الاخلاق وقد تركوا من نفايس الاثار في ذلك ما لا يدخل تحت حصر. ومن اعلام من الف فى ذلك الغزالي وابن حزم والماوردي وابن مسكويه وكثير غيرهم

اصيب المسلمون بامراض اجتماعيه كبرى منها حب الاستبداد

بالسلطة و الانفراد بالسودد و الانغماس في حماة الشهوات ودبت عقارب الخلاف بينهم فانقسموا وتفرقوا وتحاربوا انقيادا لاهوايهم وارضاء لشهوات انفسهم فدالت منهم الدولة ولعبت بهم الايام . وفقدوا استقلالهم و اعتاضوا عنه بالذلة والهوان

ورغما عما وصلوا اليه من الانحطاط السياسي كانوا يحافظون على كثير من الاخلاق الفاضلة والشيم الكريمة الى ان داهميم ابناء الغرب (اروبا) في عقر ديارهم واكتسحوا ممالكهم واحدة بعد اخرى (وهم اليوم يريدون القضاء على البقية) فانصب عليهم تيار المهاجرين حاملين معهم ما لهم من المحاسن والمساوي جاءوا بعلومهم واموالهم واخلاقهم وحرياتهم وخمورهم وفجورهم وبغاياهم وساقنا الجهل الذي خيم على عقولنا الى الاسراع في تقليدهم ولكن في الضار دون النافع - قلدناهم في الازياء والعوايد والاخلاق التي لا تناسب بيئتنا ولا تلتئم مع ديننا وآدابنا انهمكنا في الفجور والخمور وخلعنا جلباب الحياء وارتدينا اثواب الخزي والعار وتجاهرنا بكل رذيلة ونقيصة وبذلك وجد فاسد والاخلاق في وسطنا مجالا فسيحا لترويج آثامهم وغرس بذور الفساد في تربتنا وبث سموم المهالك في وسطنا فاصبحنا على ما يسوء الصديق ويسر العدو فما احتفظنا بديننا وآدابنا واخلاقنا وعوايدنا ولا اعتضنا عنها بغيرها من آداب تلك الامم وعلومهم وجميل سيرتهم في مضمار الحياة ذلك شاننا نحن التونسيون وشان سائر الشعوب الاسلامية التي منيت بفقد استقلالها وتحكم الغربي في بلادها

كنا لعهد غير بعيد على جانب عظيم من مكارم الاخلاق . من اجلها

واسماها الحياء

الحياء وما ادراك ما الحياء انعم به من خلق كريم يبعث النفوس على توقير اهل العلم والفضل وذوي الاسنان ويحمل على المبالغة في التستر وعدم المجاهرة بالقبيح حتى في الامور التي لا يأباها الشرع وانما تقبحها العادة وينكرها العرف ويصون اللسان عن هجر القول وفاحش اللفظ الى غير هذا من فضائل الاوصاف وشريف الخصال . انعكست الاحوال وفسدت الاخلاق وارتفع برقع الحياء عن الوجوه واصبح الناصحون والمرشدون محل العبث والازدراء من الاوشاب والسفهاء.

تجاهر السفهاء بكل وقاحة ودناءة وتفننوا في اساليب المفاسد وتسابقوا الى ركوب متون المهالك بجراءة واقدام واطلقوا الالسنتهم اخرسها الله - العنان في كل قول بذي ولفظ فاحش حتى اضحى سب الخالق تعالى والدين (نعوذ بالله من غضب الله) من الامور المعتادة التي نسمعها صباح مساء ولا قدرة لنا على تغييرها وحكامنا ارشدهم الله يقولون ان لا نص في قانوننا التونسي يوجب العقاب على ذلك فاليك اللهم معذرتنا فلا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا

فجهلهم وفساد تربيتهم وقصر مداركهم صيرهم يحسبون ان ذلك منتهى ما تطمح اليه النفوس من الحرية وغاية ما تجنح اليه من المدنية تعسا لهاته الافهام الضالة والعقول الزائغة

ما ابعد الحرية عنكم وما اضلكم عن طرق التمدن والحضارة . اين الحرية الحقة فدون الوصول اليها خرط القتاد واين الحضارة فطريق البلوغ لها شاسع مديد

طال بي القول وشاء اليراع ان يجري في هذا المجال طلق العنان فقد وجد مكان القول ذا سعة

اثار مني هذا الموضوع زفرات كامنة واهاج عواطف طالما غالبتها واجج في فؤادي الكليم نار الاسف والاسى

كلما اجلت النظر في حالتنا وما آلت اليه اخلاقنا وما وصلنا اليه من اهمال اوامر الدين وترك ما هدانا اليه من طرق الصلاح والسداد إلّا واضطرمت نار الحزن بين جوانبي واعتراني من الهم والغم ما يجعلني على مدرجة الاياس والقنوط لولا ان حسن الاعتقاد يملي علي قول الله الكريم « ولا تياسوا من روح الله انه لا يياس من روح الله إلّا القوم الكافرون » نعم ارد جماح اليراع واقف عند هذا الحد ملفتا الى هذا الامر الخطير انظار اساتذتي واخواني قادة الافكار وحملة الاقلام وهداة الدين ونصراء الفضيلة ـ وهم كثيرون . ولكن اكثرهم لا يكتبون . وللدعة والراحة يميلون . وبالخوف من غوايل السياسة يتعللون .

فاليك ايها الشعب التونسي يساق الحديث فالامر جلل والحالة تستدعي التدارك السريع . فانهض في كل شيء نهضة صادقة واطرح عنك اثواب الخزي والعار تنكب طرق الفساد والضلال وتجنب مسالك الغي ومآزق التقليد الاعمى تمسك باذيال الاخلاق الفاضلة . والشيم العالية . واثبت ثبات الاطواد التي لا تزلزلها الحوادث ولا توهنها الكوارث عند مطالبتك بحقوقك الشرعية التي تكفل لك الحياة بصفة امة ممتازة

وانتم ايها الجانون على انفسكم وبلادكم وبني جنسكم اما آن

ان ترجعوا عن غيكم و تقلعوا عن ضلالكم و تعملوا لصالحكم و صالح ابناءكم و امتكم و بلادكم باتباع اوامر دينكم والعمل بنصائح مرشديكم اتقوا الله ايها المغرورون في انفسكم و ابناءكم و امتكم فانكم على الجميع تجنون .... وعلى خراب دياركم تعينون ولنقض اركانها تعملون . وستعلمون اي منقلب تنقلبون . وها هي دروس الكون امام انظاركم افلا تبصرون .

ارجعوا و انيبوا الى ربكم من قبل ان يأتيكم العـذاب من حيث لا تشعرون

ان دام هذا ولم تحدث له غير * لم يبك ميت ولم يفرح بمولود



الحيـاة الزوجية (*)

« ومن آياته أن خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل »
« بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لايات لقوم يتفكرون »
(سورة الروم)

« ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة »
(سورة النساء)

الازواج تلد الافراد ومن الافراد والازواج تتألف الامم والشعوب. يجتمع فردان فيكونان زوجا ولفظ الزوج يطلق على كل واحد منهما لان الزوجية تحققت به للاخر كما تحققت للاخر به فالزوجان كونا حقيقة الزوجية فهما حقيقة واحدة ظهرت في صورتين. وروح واحدة انبثت في جسدين. وبناء واحد اقيم بركنين. بل هما حقيقة الانسانية الكاملة وكل واحد منهما جزء لها لو وجد وحده لما وجدت الانسانية. ولو هدم بناء وحدتهما بعد وجوده لما بقيت لها بقية. « خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء »

هولاء الرجال والنساء الكثيرون هم الامة فالامة اثر الزوجية وحياتها العزيزة تابعة للحياة الزوجية فاذا كانت البيوت التي يعمرها الازواج وينشئون منها الافراد في عيشة راضية وحياة طيبة خرج

(*) نقلا عن مجلة المنار — الجزء الثالث من المجلد الثامن المؤرخ بسادس افريل ١٩٠٥

اوليك الافراد احياء وكونوا بيوتا يكون مجموعها بلادا ومداين وقرى ومزارع يطلق على عمارها لفظ الامة. والمكون من الاجزاء الحية يكون حيا لحياتها. فالحياة الزوجية الطيبة هي الاصل في حياة الامة والنظر في الاصل مقدم على النظر في الفرع

الفطرة البشرية هادية الى الزوجية بكمال معناها والى اثرها في نفس الزوجين وفي آلهما وفميا يرزقون من الولد فهي تسوق كل رجل الى طلب الازدواج بامراة وكل امراة الى قبول الاتحاد مع رجل وهي التي تربط قلبيهما وتمزج نفسيهما وتوحد مصلحتيهما وتجعل الصلة بينهما اقوى من كل صلة بين اثنين في هذا العالم حتى يسكن كل منهما الى الاخر عند كل اضطراب. ويانس به ما لا يانس بالاهل والاصحاب. وهي التي تنقل المودة منهما الى اهل كل منهما حتى تكون كل عشيرة عونا للاخرى على دفع مضار الحياة وجلب منافعها. وهي التي تربي عاطفة الرحمة فيهما بالتعاون على تربية الولد فتنمو هذه الرحمة فيهما حتى ينتفع بها من يعجز منهما عن مساعدة الاخر في الشؤون المشتركة لضعف او عجز فيرى عاطفة الرحمة قد نابت عن عاطفة سكون النفس الى الانتاج وعن الاحساس بالحاجة الى التعاون

لكن الانسان قد اعطي من القوى ما يمكنه من التصرف في الميل الفطرى فيحوله عن جادته ويسلك به المجاهل والشعاب فيضل ويردى. لذلك بغى الرجال على النساء في عصور لا يعرف التاريخ اولها واعتزوا عليهن بالقوة حتى الزموهن بالكيد والمكر والكذب والخلابة والتصنع والدهان فاشقوهن وشقوا معهن في انفسهم وفي اولادهم فساءت حالة

البيوت. وساءت بها حالة الامم والشعوب. فجاء الدين مرشدا الى الرجوع بالفطرة الى جادتها. بل العناية بتكميلها وترقيتها. ثم بغى الناس في الدين كما بغوا في الفطرة حتى عميت علينا تعاليم اكثر الاديان. وحسبنا ما حفظناه من هداية القرآن

يندفع الرجل لهضم حقوق المرأة بدافع الاحساس والشعور بقوته عليها وحاجتها اليه ودافع الاعتقاد بانه سيدها وهي خادمته المسخرة او متاعه المملوك. فاما الشعور بالقوة فهو آلة البغي في البشر ولولا ان للرجل شعورا آخر بحاجته الى المرأة وميله اليها يعارض ذلك الشعور الدافع الى البغي عليها فيكسر من سورته لكان البلاء اعظم والشقاء اشد. وكان يجب عليه ان يجعل عقله مؤدبا للشعور الدافع الى الشر ومؤيدا للشعور السائق الى الحسنى لولا ما يعرض للعقل من الخطأ في الاعتقاد فيخرج به عن الصواب اذ يعتقد ان له الحق في ان يعامل المرأة بما يسوقه اليه طبعه الفاسد ورأيه الباطل ولا سعادة في الزوجية ولا للامة إلّا اذا صح اعتقاد الرجال فعلموا أن المرأة هي شطر الحقيقة الانسانية والرجل هو الشطر الآخر وانه يجب ان يكون كل منهما متمما لعمل الآخر في الوجود فيما يشتركان فيه وعونا له على ما تختلف فيه وظيفتهما مع ملاحظة جهة الوحدة كما تساعد احدى اليدين اختها وتتم كل من الرجلين سعي صاحبتها وكما يؤدي العقل وظيفة الفكر والقلب وظيفة الشعور والوجد وكما تسمع الاذن وتبصر العين والغرض من عمل كل عضو واحد وهو مصلحة الشخص. فاذا قام بناء الزوجية على هذا الاساس كان بناء

الامة .. الذي يتالف من الازواج و الافراد التي ينسلها الازواج ـ لتكون ازواجا في البيوت متفرقة و امة في البيوت مجتمعة ـ بناء محكما رصينا

اذا فسد الشعور القلبي و الاعتقاد العقلي في الامة فنقضت ما ابرمته الفطرة من ميثاق الزوجية حتى صارت المعاملة بين الازواج كالمعاملة بين التجار والصناع و الاجراء يؤدي كل واحد من حقوق الاخر ما يمكنه من استخدامه مع ظلم القوي للضعيف ومكر الضعيف وخداعه للقوي فالواجب المبادرة الى معالجة هذا المرض فان انتشاره في الامة وباء مجتاح . وخسران لا يرجى معه نجاح . لان من يضيع حقوق اشد الناس صلة به بل من كان متمما لمعناه وحقيقته ومسوقا هو الى حبه بمقتضى غريزته فكيف يرجى ان يقوم بحقوق من لا يتصل به إلّا بصلة بعيدة هي فرع تلك الصلة القريبة ؟ و اذا لم يقم كل فرد من الافراد بما عليه من الحقوق الخاصة والعامة فكيف تتكون الامة و تتحد على دفع الاذى . و تتعاون على المصالح حتى تبلغ المدى ؟

معالجة النفوس اعسر من معالجة الابدان ومعرفتها اغمض وادق و الاحساس بالامراض الروحية اخفى من الاحساس بالامراض الجسدية . لذلك كانت الامراض الروحية في الافراد و الجمعيات اكثر من الامراض البدنية

لا يتم علاج النفس المريضة إلّا باصلاح العقل و القلب معا وذلك باقناع العقل بما تقدم الالماع اليه من معنى الزوجية ومكانة كل واحد من الزوجين من الاخر و بتربية شعور القلب ووجدانه تربية صحيحة

مبنية على احترام ذلك المعنى واكباره ليكون الوجدان مؤيدا للفكر والاعتقاد بان تحقق معنى الزوجية وقيام كل من الزوجين بحقوقها من اركان السعادة التي لا تبنى إلّا عليها . فاما تربية الكبير على ذلك فهي متعذرة او متعسرة واما اقناعه بذلك فهو سهل على العارف به ولكن فائدة العلم بغير اذعان النفس وشعور القلب قليلة الجدوى

اذا كان الناشيء على فساد الاخلاق وسوء الفعال لا يستطيع ان يقوم من نفسه عوجها فيعامل زوجه بالحسنى التي هي اثر سكون النفس وحب القلب فهذا لا يدل على ان العلم بمعنى الزوجية والاقتناع بحقوقها لا يكون نافعا بدون التربية على هذا العلم حتى يصير وجدانا وشعورا فان العلم الصحيح ينازل الوجدان الفاسد ويبعث صاحبه على مقاومته بالتكلف حتى يزول اذا لم يكن راسخا وإلّا ضعف اثره وحسنت الحال في الجملة . ولذلك ترى حياة الزوجين العالمين الفاسدي الاخلاق اهنأ من حياة الجاهلين الفاسدين او اقل شقاء ونقصا ذلك بان العالمين يتحبب كل منهما الى الآخر حتى يصير التكلف حبا او تكون له اكثر ثمرات الحب وكذلك يتقي كل منهما ما يسيء قرينه بمقاومة طبعه ومغالبة ميله فتكون لهما صورة الحياة الطيبة وكثير من معناها . ثم ان الزوجين العارفين بمكان الزوجية ووجوب مساوات الزوجين فيما عدا رئاسة المنزل وزعامة العشيرة يربيان من يرزقان من الولد على ذلك عسى ان يتم لهما في ولدهما ما فاتهما من السعادة في نفسهما . ولولا ان العلم يكون وسيلة للتربية النفسية التي يتحد بها القلب مع العقل لما رايت مصلحا يظهر في الامة فاسدة الاخلاق يدعوها

الى التربية كما ترى في امتنا الان اذن نحن في حاجة الى العلم بمعنى الزوجية وحقوقها والشروط التي تتم بها حقيقتها

حسبنا في بيان معنى الزوجية وسرها تلك الاية التي صدرنا بها هذا المقال وفي حقوقها بعض الاية التي تليها. تفيد الاية ان اركان هذه الحياة ثلاثة اولها سكون كل من الزوجين الى الاخر فان المراد بالانفس في الاية الجنس والمراد بالزواج ما يعم الرجال والنساء. فالحكمة الاولى للزوجية ان يكون لكل من الزوجين وجود آخر من جنسه يسكن اليه من اضطرابه ومثارات الاضطراب في هذه الحياة كثيرة وانواع المتاعب فيها غير معدودة وما اخترع الناس انواع الملاهي واللعب إلّا ليقاوموها على ان اللعب شان الاطفال لا شان الرجال وان سكون الزوج الى زوجه وانس الانسان بشقيق نفسه وروحه وشريكه في جميع شؤون حياته لمما يذهب بكل اضطراب ويزيل كل وحشة اذا تحققت الزوجية بكمال معناها

يقول المفسرون ان العلة في انس كل من الزوجين بالاخر الجنسية كما يعطيه ظاهر اللفظ في قوله تعالى « وخلق منها زوجها ليسكن اليها » وهو صحيح عقلا وطبعا فقد خلق الله في كل من الزوجين الذكر والانثى جاذبا يجذبه الى الاخر لاجل ان يتحد به وقد يكون هذا الجذب والانجذاب في بعض اطوار العمر مبهما لا يتصور صاحبه الغاية الفطرية من ذلك الاتحاد وهو ان ينشأ عنه وحدة او وحدات اخرى من الجنس بل ولا مقدمة هذه الغاية ايضا. ولكن هذا التعليل لا يصدق على اطلاقه فى الوجود الخارجي كما يعقل فى الوجود الذهني لا مع

كل زوجين ولا مع اكثر الازواج كما قيل فان الباحث في حياة البيوت يقولون انه قلما يوجد زوجان سعيدان كل واحد منهما مغبوط بالاخر راض به يسكن اليه من اضطرابه ويصفيه حبه ووده ظاهرا و باطنا. على ان هذا هو غاية الكمال في سعادة الحياة الزوجية و انى للاكثرين او الاقلين بالكمال في هذه الحياة

والصواب ان اكثر الازواج في البشر يسكن بعضهم الى بعض و يوده مهما كان حالهم من فساد الفطرة وسوء الاخلاق و الجهل بقيمة الطمانينة و السكينة في الحياة و لكن هولاء الاكثرين منغصات في حياتهم

وهذه لها اسباب تختلف باختلاف البلاد و الامم و باختلاف الافراد في التربية و العلم و الاخلاق و الافكار و استقصاء هذا لا يكون إلّا في كتاب مستقل يكون فيه باب للازواج في القبايل البدوية و في البلاد التي تقرب حال اهلها من حال البدو في السذاجة وقلة الحاجة و تقارب النساء والرجال فى الادب و المعرفه. و باب لاهل الحضارة العالية التي عم التعليم والتربية جميع افرادها او اكثرهم. و باب اوسع للبلاد المذبذبة التي بعدت عن سذاجة الفطرة. ولم تصل الى شيء من كمال العلم و الصنعة. كالبلاد الشرقية التي طاف بها طايف المدنية الغربية فزلزل اخلاقها وعاداتها وعقايدها و افكارها الاولى ولم يبدلها بذلك الاخلاق الغربية وما يتبعها فهذه البلاد اشقى بلاد الله تعالى و ابعدها عن سعادة الحياة الزوجية وما يتبعها فانك تجد اكثر الذين اصابهم هذا الزلزال في حيرة من امر الزواج قبل الاقدام عليه و بعد الوقوع فيه و نحن الى الدخول في هذا الباب احوج لاننا في بلاد الزلزال عايشون. ولاهله

في الاكثر مخاطبون و كاتبون و نكتفي منه في هذا المقال ببيان طرق اختيار الزوج وما يكون من ورائه

اختيار الزوج : جرى العرف بان يكون الرجل هو الذي يتخير المراة ويطلبها و الاصل في الاختيار ان يكون للمصلحة وهي لا تتحقق إلّا بصحة الجسم والتناسب مع الرجل في الاخلاق والعادات والميل والرغبة و الاتحاد او التقارب في الصنف والطبقة لان النفس لا تسكن و ترتاح لمن يباينها في صفاتها و يخالفها في عاداتها . ولكن الناس قلما يجرون على المصلحة الحقيقية في اعمالهم الاختيارية لان اللذة عندهم ليس لها حدود طبيعية يقفون عندها وانما تعرف الحدود بالشرع والعقل والشرع يوخذ بالتعلم و الاقتداء والعقل ينمو بالتجارب و الاختبار لذلك تختلف الحدود في نظر الافراد وترى بعض الناس يبنى اختياره على الهوى و الميل الى الجمال . وبعضهم يحكم المصلحة و يجعل مناطها الجاه و المال . فالاصل في اختيار المراة عند الامم الجاهلة الفاسدة الاخلاق هو الحسن و الجمال اتباعا لهوى النفس المستلذ . او الثروة و الجاه ايثارا للمصلحة الموهومة

اكثر ما يقع التخير بالحسن او الاستحسان من طائفتين - اولهما - الشبان الاغرار الذين يتوهمون ان عاطفة الهوى لمن راى احدهم فاستحسن وأحب تدوم فاذا هو اقترن بمن احب كان له نشوة سرور دائمة فيعيش مغبوطا ناعم البال قرير العين يرى الملك ملكه والزمان غلامه وهيهات ما يتوهم ولكن انى له ان يفهم ذلك وهو محكوم بشعوره ووجدانه تعبث به الخواطر و تقوده الاماني التى يوليها عليه

ذلك الشعور . ثم انى له ان يعرف سيرة الناس الذين سبقوه في تحكيم الهوى واتباع لمحات العيون وطاعة هواجس النفوس فتزوجوا بمن استحسنوا او أحبوا ولم يلبث أن تحول الاستحسان استقباحا والحب العارض مقتا وبغضا

الحسن والجمال من الاعراض التي يسرع اليها الزوال . ثم ان سلطانهما على القلب الواحد لا يدوم او لا يطول إلّا اذا صار عشقا خياليا يخطف القلب من عالم الحس ويزج به في عالم الخيال وهذا الضرب من العشق لا يكون مع ملك الاستمتاع بالمحبوب . على ان هوى الاغرار لا يتقيد بالحسن الرايع والجمال البارع . قل لهولاء الاغرار ليست تلك العاطفة الرقيقة التي وجدتم عند ارسال الطرف الى الوجه الذي استملحتم . هي اثرا طبيعيا لشيء ثابت في ذلك الوجه فتقولوا ان العلة تلازم المعلوم بل هي شيء كامن في النفس تحركه وتهزه في احد الصنفين روية الاخر في صورة تعجب وقد يضعف ذلك الشيء في وقت ما وقد تمل الصورة المحركة له او تعرض للعين صورة اخرى فتبطل حركتها وتنسخ آيتها . فالاعتماد في هناء العيش وسعادة الزوجية على الاستملاح والاستحسان الذي تحدثه النظرة العجلى اعتماد على ركن غير شديد

والطائفة الثانية هي طائفة المترفين الذين لاهم لهم إلّا الاستمتاع والتنقل في الشهوات واللذات وهم اعرق في البهيمية من الطائفة الاولى لان الشاب الغر الذي يكتفي في اختيار الزوج بلمحة طرفه وخفقة قلبه دون الوقوف على اخلاق من اعجب بصورتها وخفق قلبه

عند رويتها ولا على سيرتهـا وسيرة اهلها وعشيرتها ليعـرف المنبت والنبات - قد يتفق ان تكون الفتاة التي اختـارها مشاكلة له في طبعه قريبة منه في اخلاقه وعادة فيعيش معها عيشة راضية وتسكن نفس كل منهما للاخر ويقيمان باقامة هـذا الركن الاول ركـني الزوجية الاخرين - المودة والرحمة - بحسب حالهما وطبقتهـا في الامة . واما المترفون الذواقون من الامراء واهل الثراء ومن تسري اليهم سمومهم ممن دونهم فهم اشقى الناس في بيوتهم وما اشقى نساءهم بهم. ذلك ان احدهم لا يلبث ان يمل من تزوج بهـا لحسنها او يستهويه حسن آخر فيهوى اليه وهكذا يتبع مواقع الحسن الجديد ويوغل في المحرمات فلا يكون زوجا حقيقيا للاولى ولا لغيرها وانما هو شقي بشهوته ومشق لمن يتصل به فان المراة عنده اما ان تفسد كفساده فتكون من الذواقات وما اسهل ذلك على ذات الجمال البارع التي قلما يسلم مثلها مع تطلع الفساق المترفين اليهـا وافتتانها هي بنفسها. واما ان تعيش في نكد. وتظل في كمد. وكلا الامرين شقـاء للبيوت وشقاء للامة - فهذا اجمال يكشف للمتفكر عن وجه الخطا في جعل استحسان الصورة والاعجاب بالجسم اصلا لتخير المراة زوجا. واما جعله اصلا لتخير المراة للرجل فذلك مما لا حاجة الى بيان فساده وخطا الذاهب اليه.

يقول قائلون ان النظر رسول القلب. وان الاستحسان علة الحب. والحب هو علـة ذلك السكون الذي هو ركـن السعادة وسر حقيقة الزوجية فان لم يكن عينه فهو علـة له او اثرا من آثاره فما بالك تطلق القول في تخطئة من يحكم استحسان الصورة وميل القلب في

الاختيار . كانك تويد عادة مسلمي المدن الذين يتزوجون غالبا على السماع . غافلا عما يتبع هذه العادة من التنافر بين الزوجين لاول وهلة . وما يرزآن به من الخصام والجفوة : ونقول اننا قد بينا ان استحسان الصورة وميل القلب الى ما يرضي العين مما لا بقاء له ولا ثبات لما يبنى عليه وانما البقاء والثبات للحب الذي علته تعارف الارواح ومشاكلة الطباع ولا ننكر مع هذا ان حسن الصورة وجمال الخلقة له اثر عظيم في نفوس عشاق المعاني ربما يفوق اثره في نفوس عشاق الصور ولكنه عندهم في الدرجة الثانية بل يقرب في ذوقهم من المحسنات العارضة كالثياب والحلى فان سليم الطبع لا تسكن نفسه الى دوام معاشرة رث الثياب وسخها ويانف طبعه من الطعام الطيب فى الاناء الخبيث . وان من الناس من تشمئز نفسه وتنفر من بعض العيوب الخلقيـة فاذا هي فاجاته في وجه من اختير له زوجا يلابسه ويمازجه حتى يتحد معه اتم اتحاد يوشك ان تنكمش نفسه انكماشا يتعذر معه الالتحام والالتئام لذلك كان من السنة في الاسلام ان لا يتزوج المـرء إلّا بعد الروية وما جرى عليه المسلمون في اكثر المدن او جميعها مخالف للفطرة والشريعة جميعا ولكن حكـم العادات اقوى سلطانا على نفوس الجماهير من كل حكم يخالفه

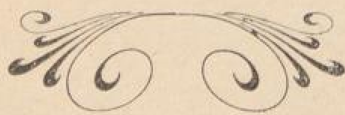
(على ان من يطلب الازدواج لاقامة سنة الفطرة . لا لمجرد ارضاء الشهوة . ولا لاجل التنقل في معاهد اللذة . فقلما يخون الوصف رغبته فيما يحب من حسن الصورة وجمال الخلقة .) ولعلنا لو احصينا عـدد الازواج الذين مقتوا ازواجهم استقباحا لصورهن لما وجدنا فرقا

كبيرا بين من تزوج منهم عن روية ومن تزوج عن سماع فان للروية نظرا حادا ليس معه للروية مجال والسماع يتثبت فيه ويتروى حتى يغني عن النظر في كثير من الاحوال

ويقولون في انتقاد ما عليه اكثر مسلمي المدن من التشدد في الحجاب ان الحاجة الى روية الرجل من يريد الاقتران بها للوقوف على طباعها واخلاقها وعادها اشد منها لمعرفة حسنها وجمالها . بل لا بد لمعرفة الاخلاق والطباع من المعاشرة زمنا طويلا ؛ ونقول ان هذا هو الذي يظهر بادي، الراي واما ما يظهر بعد التدقيق والتمحيص فهو انه يتعسر او يتعذر على الشاب ان يعرف حقيقة اخلاق الشابة وطباعها ورغائبها من المعاشرة بقصد الخطبة فان ما يتنازع الفتاة من ضروب الشعور والوجدان اذا كانت بمرأى من الفتى ومسمع يخرج بها عن حال الاعتدال الطبيعي الذي طبعت عليه فلا يكون الحكم عليها صحيحا لان حجابا طبيعيا اسدل على اخلاقها وسجاياها . ثم ان من وراء هذا الحجاب او من امامه حجابا آخر صناعيا وهو ما يكون من التكلف والتصنع لتكون امام الفتى بالمظهر الذي تظن انه يرضيه ويجذب قلبه فالعمدة اذن في معرفة الاداب والاخلاق هي الوقوف على حال المنبت والعشيرة وخبر الصادق الذي يحسن النقد ويميز بين ما يرغب فيه وما يرغب عنه . وقد يسهل على الخلطاء والجيران من العشائر ان يعرف فتيانهم اخلاق فتياتهم بالاختبار الصحيح اذا لم يكن هناك مقدمات ولا وسائل تشعر برغبة المختبر في تزوج من يلاحظ احوالها وينتقد اعمالها وقلما يكون هذا في المدن إلّا بين الاقربين . وحدثني السيد عبد الرحمن

الكواكبي (رحمه الله) ان اهل الاستانة اذا رضوا بالخاطب دعوه الى دارهم وجمعوا بينه وبين بنتهم في مجلسهم فيراها وتراه ويسمع كل حديث الاخر وتساله عن آثاره الادبية والعلمية ثم يكون العقد بعد ذلك

وجملة القول ان الذين يعتمدون على مجرد استحسان الصور في تخير الازواج ضالون لا يرجى لهم ان يكونوا بيوتا (عائلات) تكون اعضاء حية عاملة لامة عزيزة وسياتي بيان حال من يبني اختياره على طلب المال والثروة ثم من يبني اختياره على ما يجب ان يبنى عليه الاختيار وقد ذكر بعضه في هذه المقالة تمهيدا واستطرادا



المراسلات الخصوصية

بين اهل العلم و الادب

تجري بين العلماء و الادباء مراسلات خصوصية كثيرا ما اشتملت على عيون الحكمة ودقائق من العلوم وجواهر من الاداب ٠ ونفائس من الاشعار ٠ ونصائح صائبة ٠ ووصايا نافعة ٠ وهذه الرسائل هي التي تتجلى فيها روح الاخلاص باجلى مظاهرها ويجري فيها اليراع بدون قيد ولا عناء لبعدها عن موجبات التكلف ودواعي التصنع فتفيض من بين سطورها ينابيع البلاغة اذ لم تكتب لتنشر بل لتكون في طي الخفاء و الكتم ونحن نريد ان نثير هاتيك النبايث وننشر منها ما يستحق ان تزين به طروس الادب لاحتوائه على صنوف من الحكمة وضروب من البلاغة

فالى علمائنا و ادبائنا الكرام نبسط يد الرجاء عساهم ان يمدونا بما لديهم من الرسائل الادبية والنفائس العلمية وها انا افتتح هذا الباب بكتاب كان وجهه الي احد اصدقاءي من كبار العلماء ونوابغ الادباء تهنئة بمولود ٠ ضمنه من النصائح المفيدة و الاراء الصائبة ما يصح ان يكون انموذجا صالحا لتربية الابناء باسلوب بديع و تحرير شيق وهذا نص ما دبجه وحبره ٠ ابقاه الله لنفع امته :

بسم الله الرحمن الرحيم

الى الصديق الوفي ...

قرات في جريدة الزهرة ثم علمت من كتابك نبأ ازدياد ابن الجميع ... انبته الله نباتا حسنا وجعل منه قرة عين لي ولك ولسان صدق في الاخرين وقد عقدت بناصيته امل الخير والقى الالهام الصادق بقلبي ان سيكون بفضله تعالى اوسع منك علما . واصح حلما . وامتن دينا . واثبت يقينا . وازكى قلبا . واعلى في الفضل كعبا . لانك وقد قمت على تربيتك بنفسك بعد ان اخرجك الله من ظلمات الغفلة . ونزع عنك لباس الجهل لا تزال تبلو خلقك - مثلي - فتجد لتلك التربية البالية نقشا على لوح قلبك هيهات ان يمحوه ماح

واما النجل الميمون فالرجاء فيك ان تسير بروحه لاول شعوره بالوجود في مناهج التاديب الحق وتجعل غايتك منه ان يكون طاهر الخليقة . مطبوعا على الحقيقة . لا يروعه في سبيل الحق ان يصيبه النصب والمخمصة والظما . ولا ان يكلم عرضه من ليس من الفضل في شيء . وان اكبر عون لك على تربية جسمه اللطيف وروحه الطاهرة كتاب « التربية الاستقلالية » فهو يعلم الجهال امثالنا كيف يكون رعي امانة البنوة وهي هي التي رزيء الناس بها عن غفلة وجهل لا عن عمد وعلم . فساروا في التربية والتهذيب على غير صراط الحق المستقيم وكائن من رجل اصيب في روحه وجسمه . بتربية ابيه وامه . فاحذر ان تخالف عن امر التربية القويمة فيصيبك (لا قدر الله) ما اصاب من قبلك ممن نعتبر بهم . ونتعوذ منهم

اوصيك بتاكيد ان تعني بامر رضاعه فلا تتركه الى الكاع ابنة لكاع التى تطوف بكل بيت لا تتركه يمتص من لبانها فيستمل ما تكره من اخلاقها . وفيما نرويه من قصة امام الحرمين (١) مزدجر لعاقل معتبر مثلك . ومن الحكم العربية : الرضاع يجر الطباع وعن عبد الملك ان العرب كانت تسترضع ابناءها في بيوت الشرف

ونسال الله ان يقر به اعيننا ويجعله من الاعمال التي لا تقف عند آجالنا والسلام

(١) هذا الامام العظيم هو ابو المعالي عبد الملك ابن الشيخ ابي محمد عبد الله ابن ابي يعقوب الجويني يلقب بضياء الدين اعلم المتاخرين من اصحاب الشافعي تبحر في العلوم واشتهر بالفقه والاصول ولد بنيسابور ورحل الى بغداد والحجاز وجاور بمكة والمدينة اربع سنين وله بنى الوزير نظام الملك المدرسة النظامية بنيسابور عام ٤١٩ . كان والده الشيخ ابو محمد ينسخ بالاجرة فاجتمع له من كسب يده شيء اشترى به جارية موصوفة بالخير والصلاح ولم يزل يطعمها من كسب يده الى ان حملت بامام الحرمين وهو مستمر على اطعامهما بكسب الحلال فلما وضعته اوصاها ان لا تمكن احدا من ارضاعه فاتفق انه دخل عليها يوما وهي متالمة والصغير منبطح وقد اخذته امراة من جيرانهم وشاغلته بثديها فرضع منها قليلا فلما رآه شق عليه واخذه اليه ونكس راسه ومسح بطنه وادخل اصبعه في فيه حتى قاء ما شربه وهو يقول يسهل علي ان يموت ولا يفسد طبعه بشرب لبن غير امه - ويحكى ان الامام كان يلحقه احيانا فترة في مجلس المناظرة فيقول هذا من بقايا تلك الرضعة

صفحة من التاريخ

الامام العادل

كتب عمر بن عبد العزيز[١] رضي الله عنه لما ولي الخلافة الى الحسن بن ابي الحسن البصري[٢] ان يكتب اليه بصفة الامام العادل فكتب اليه الحسن رحمه الله

اعلم يا امير المؤمنين ان الله جعل الامام العادل قوام كل مائل . وقصد كل جاير . وصلاح كل فاسد . وقوة كل نصيف . ونصفة كل مظلوم . ومفزع كل ملهوف

والامام العدل يا امير المؤمنين . كالراعي الشفيق على ابله الرفيق الذي يرتاد لها اطيب المرعى . ويذودها عن مراتع المهلكة . ويحميها من السباع . ويكنفها من اذى الحر والقر

والامام العدل يا امير المؤمنين . كالاب الحاني على ولده يسعى لهم صغارا . ويعلمهم كبارا . يكتسب لهم في حياته . ويدخر لهم بعد مماته .

---

(١) الخليفة الراشد والملك العادل يعد لعدله وورعه وجميل سيرته من الخلفاء الراشدين ولي الخلافة سنة ٩٩ – ومات سنة ١٠١ وهو الخليفة الثامن من الخلفاء الامويين

(٢) كان من سادات التابعين وكبرائهم جمع بين العلم والزهد والعباده ولد لسنتين بقيتا من خلافة الفاروق (سنة ٢١ هـ) وتوفي سنة ١١٠ ومن كلماته : ما رايت يقينا لا شك فيه اشبه بشك لا يقين فيه إلّا الموت

والامام العدل يا امير المؤمنين . كالام الشفيقة البرة الرفيقة بولدها حملته كرها ووضعته كرها . وربته طفلا تسهر بسهره . وتسكن بسكونه . ترضعه تارة وتفطمه اخرى . وتفرح بعافيته وتغتم بشكايته

والامام العدل يا امير المومنين . وصي اليتامى وخازن المساكين . يربي صغيرهم ويمون كبيرهم

والامام العدل يا امير المومنين . كالقلب بين الجوانح . تصلح الجوانح بصلاحه وتفسد بفساده

والامام العدل يا امير المومنين . هو القائم بين الله وبين عباده يسمع كلام الله ويسمعهم . وينظر الى الله ويريهم . وينقاد الى الله ويقودهم فلا تكن يا امير المومنين فيما ملكك الله كعبد ائتمنه سيده واستحفظه ماله وعياله فبدد المال وشرد العيال فافقر اهله وفرق ماله

واعلم يا امير المومنين . ان الله انزل الحدود ليزجر بها عن الخبايث والفواحش . فكيف اذا اتاها من يليها . وان الله انزل القصاص حياة لعباده . فكيف اذا قتلهم من يقتص لهم . واذكر يا امير المومنين الموت وما بعده . وقلة اشياعك عنده وانصارك عليه فتزود له ولما بعده من الفزع الاكبر

واعلم يا امير المومنين . ان لك منزلا غير منزلك الذي انت فيه . يطول فيه ثواءك ويفارقك احبابك . يسلموك في قعره فريدا وحيدا فتزود له ما ينجيك يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه . وصاحبته وبنيه

واذكر يا امير المومنين اذا بعثر ما في القبور . وحصل ما في الصدور فالاسرار ظاهرة . والكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلّا احصاها

فالان يا امير المومنين . وانت في مهل قبل حلول الاجل . وانقطاع الامل .

لا تحكم يا امير المومنين . في عباد الله بحكم الجاهلين . ولا تسلك بهم سبيل الظالمين . ولا تسلط المستكبرين على المستضعفين . فانهم لا يرقبون في مؤمن إلّا ولا ذمة . فتبوأ باوزارك واوزار مع اوزارك وتحمل اثقالك واثقالا مع اثقالك . ولا يغرنك الذين يتنعمون بما فيه بؤسك . ويأكلون الطيبات في دنياهم باذهاب طيباتك في آخرتك لا تنظر الى قدرتك اليوم ولكن انظر الى قدرتك غدا وانت ماسور في حبائل الموت . موقوف بين يدي الله في مجمع من الملائكة والنبيين والمرسلين . وقد عنت الوجوه للحي القيوم

اني يا امير المومنين وان لم ابلغ بعضتي ما بلغه اولو النهي من قبلي فلم آلك شفقة ونصحا فانزل كتابي اليك كمداوي حبيبه يسقيه الادوية الكريهة لما يرجو له في ذلك من العافية والصحة

والسلام عليك يا امير المومنين ورحمة الله وبركاته



فقير اغنته فكرة

من اكبر تجار أمريكا المشهورين « ولوورث » المتوفي اخيرا في سنة ١٩١٩ ولد هذا الرجل من ابوين فقيرين وكان والده من المشتغلين بالفلاحة وقد حال فقره دون الانفاق على تعليم ولده بالمدارس فابقاه مشتغلا معه حتى بلغ سن الحادية والعشرين . وحينئذ اتجهت اميال ولوورث الى التعليم فاخذ يتلقى بعض الدروس في احدى المدارس التجارية . ثم اشتغل عاملا عند احد التجار الاصاغر بمرتب ثلاثة ريالات ونصف الريال في الاسبوع ولكنه مات اخيرا في ٨ ابريل سنة ١٩١٩ وهو يدير حركة تجارية ايرادها السنوي ستة ملايين من الجنيهات . فكر عند بدإ اشتغاله بالاعمال الحرة في انشاء حوانيت تجارية لبيع اصناف متنوعة من الحاجيات لا يزيد ثمن الصنف منها عن قرشين ولا يقل عن قرش واحد فانشا اول حانوت لبيع تلك الاصناف في فيفري سنة ١٨٧٩ برأس مال حقير . ثم ما لبث مشروعه ان اخذ يتدرج في سبيل النجاح الى ان اسس شركة باسمه يربو راس مالها على اثنى عشر مليون جنيه وكان عدد حوانيتها المنتشرة في انحاء امريكا لغاية ٣١ ديسمبر سنة١٩١٨ حوانيت ١٣٠٨ يشتغل فيها ١٢ الف عامل وقد بلغ قيمة ما بيع فيها في سنة واحدة ٢٠ مليون جنيه . ونظرا لزيادة انتشار هذه الحوانيت ونجاح تلك الفكرة نجاحا باهرا امكن لمحال تجارة ـ ولوورث ـ المذكورة الاستمرار

على بيع الاصناف المشار اليها بالاثمان التي كانت تباع بها قبل الحرب وذلك لاطراد الزيادة في المعتاد بيعه بهذه المحال رغما من ارتفاع اثمان سائر انواع الحاجيات في كافة اسواق العالم . حتى انه لما تفشت الحمي الاسبانية في امريكا سنة ١٩١٨ و كثر طلب المناديل ارتفعت اثمانها في طول البلاد وعرضها ارتفاعا فاحشا ولكن محال - ولوورث بقيت تبيع المناديل باثمانها المعتادة قبل الحرب وقد بلغ ثمن ما بيع منها مليوني جنيه تقريبا في بضعة شهور من تلك السنة . وكذلك كانت الحال في اواني الزجاج حيث بلغ ما يباع منها في السنة بمحال ولوورث ٣٥٠ الف صندوق

ولئن كان ولوورث قدمات فسيبقى ذكره خالدا بعمارته الوحيدة في علوها التي شيدها اخيرا في مدينة نيويورك وهي من العمارات المشهورة باسم « مناطحات السحاب » لفخامة وعلو بنائها وهي التي بدا بوضع اساسها عام ١٩١٠ واتم تشييدها عام ١٩١٤ وانفق على بنائها ٣ ملايين جنيه . ويبلغ ارتفاعها ٣٠٠ متر بحيث يماثل ارتفاع برج ايفل الذي يعده الفرنسويون من اكبر مفاخرهم وتؤلف هذه العمارة من ٥٩ طابقا باعلاها مرصد جوي تشاهد منه مدينة نيويورك وما يحيط بها وكل غرفها مشغولة بمكاتب تجارية ومالية يشتغل فيها ما يقرب من عشرة الاف مستخدم وعامل

ويتردد على العمارة في اليوم الواحد من ٢٥ الى ٣٠ الف عميل وبهذه العمارة ٢٨ مصعدا كهربائيا منها ما يسمونه « الاكسبريس » وهذا يصعد الى قمة العمارة في دقيقة واحدة دون ان يقف ومنها ما يسمى

« الامنوبيس » وهذا يقطع مسافتها بحيث يقف على كل طابق في زمن يتراوح بين ٦ و ٨ دقائق وبها ١٦٥٠ آلة تلفون اي نحو ثلث عدد تلفونات القاهرة . وفي الطابق الذي تحت سطح ارض هذه العمارة « البدروم » اربعة مكاتب للبريد يبلغ عدد المراسلات التي ترد اليها من مكاتب العمارة ٥٠ الف مراسلة يوميا . حيث تجمع ٢٥ مرة في اليوم ويحتوي الطابق الارضي آلانف الذكر على مركز مطافي مستكمل الالات والادوات على آخر طراز . وملحقة به ثكنة لعمال المطافي . وبه ايضا آلات تضغط المياه فترفعهـا الى ٣٠٠ ميتر فيسهل اطفاء الحـريق على فرض شبوبه في قمة العمـارة . وبهذا الطابق سائر الالات التى تستخـدم لتوليد الكهرباء ولتدفية الاماكن بها في فصل الشتاء . وتلطيف الحرارة وتبريدها في فصل الصيف وبالعمارة المذكورة ٢٥٠ خادمـا من بواب وفراش وسواهم من المكلفين بتنظيفها وفي كل مسكن فيها آلة للكنس بطريقة امتصاص الغبار ويشاهد بناء العمارة من مسافة اربعين ميـلا من الشاطيء . وهي تزن ٢٢٣ الف طن اما اساسهـا فقـد بنى بالاسمنت المسلح على عمق ٣٠ ميتـرا ويوجد بالبدروم حمامات ومحال للاكل والحلاقة في منتهى السعة

(مجلة النشرة الاقتصادية المصرية)

المبــرات

تصون العفــاف وتحفظ الحيــاة

« على فراش الموت »

في ليلة من ليالي الشتاء نجمها آفل وسحابها مركوم وريحهـا صرصر عاتية وقد اومض البرق ورغت رعود وفي هذا الليل الاليـل دعتني حاجة الى بيت دواء قريب من محل سكناي فيممته مضطرا وقد خلت الازقة من كل حركة اللهم إلّا نفر متفرقين هنا وهناك بين سكارى يتمايلون او شرد يترقبون فريسة ينقضون عليها في ظلام ذلك الليل البهيم.

دخلت بيت الدواء وكان بها نفر دعاهم ما دعاني وبينا نحن في هذا الحال اذ اقبلت فتاة هيفاء القد طويلة القامة لا اخالها إلّا واقفة على ابواب العشرين من العمر وكانت آية من آيات الحسن وغاية في الجمال رغما عن البؤس البادي عليها وما هي فيه من الاطمار دخلت بخطا غير ثابتة ودمعها يسابق رجليها وحالها يفتت الاكباد:

فسلمت الى الصيدلي بطاقة بها وصف العـلاج المطلوب واعتزلت الناس ناحية ودمعها في انهمار وما اتم الصيدلي تركيب العلاج حتى سلم لها زجاجة وسلمت له فرنكين فردهما عليها كاشرا وطلب عشرة فاعتذرت بالفاقة وشدة الاحتياج ولجت في الاستعطاف واشتد الصيدلي فى الطلب.

فقالت له بلهجـة المستعطف الكسير : رفقا ياخي رفقا فاني من

بني البشر مثلك وقد كان لي اخ يعولني ولا عايل لي سواه فرماني فيه الدهر فيما رمى فها هو رهين الفراش منذ الزمن البعيد و والله لا املك من حطام الدنيا سوى ما سلمته اليك ولا ادري ما اصنع غـدا لقوتي وقوت اخي المسكين فاقنع اخي بهـذا تثاب وتؤجر ونكون لك من الشاكرين

فما اصغى الصيدلي الى قولها ولاحن الى دموعها المنهمرة بل افتك الزجاجة منها قسرا ورمى الدراهم في الارض فالتقطتهـا كاسرة ورجعت تتعثر في اذيال الخيبة ولا اظنهـا إلّا اعتقدت نفسها احقر شيء في هـذا الوجود وعلى اثر ذلك سلم لي الصيدلي حاجتي فاقتفيت اثرها واذا هي تبكي وتقول وكانها تهذى هذيان المحموم :

سبحانك اللهم قد كتبت علي الشقاء منذ كنت في المهـد فما شرقت علي شمس السعادة يوما وما كنت من المذنبين فتبـاركت انك اعدل الحاكمين ؛

مات ابي وتركني رضيعة واقتفت اثره والدتي ولم يترك لي من حطام الدنيا ادنى شيء فكفلني اخي وقد عرف البؤس ومرارة الشقاء ولم يبلغ الخامسة عشرة من عمره ؛

فانتظم في خدمة منجم واصبح يقوم بكل عمل شاق نظير جراية لا تسمن ولا تغني من جوع ولكنه الفقر علمه القناعة والزهد !

وكنا بحالتنا من الراضين الى ان ابى الدهر الخؤون إلّا ان يحيط بنا الشقاء من كل جانب فانهك الشغـل جسد اخي النحيف وها هو رهين الفراش فوق حصير في بيت جثى على الاعقاب

ولا سبيل الى اسعافه وها هو حتى الصيدلي ابي علي العـلاج كاننا لسنا من البشر لا نستحق الرحمة في هذا الوجود فيالله من هذه القلوب القاسية وقد يممت بابك وانت ارحم الراحمين

تقدست اسماؤك اللهم تلك حالتنا وانت بها خبير فما من شيء إلّا وقد عاكسنا في هذه الحياة فضاق بنا رحب الفضاء وزهدت فينا الارض والسماء ولا ناصر لي ولا معين

الا اخي ولا ارى إلّا الموت سيفتكه مني قريبا شهيد التعاسة والشقاء وليس لي ما ادفع به عنه ذاك القضـاء المحتوم فقد عجزت عن القوت الضروري فضلا عن اجرة الطبيب وثمن العلاج ولا سبيل الى ذلك إلّا ببيع جوهرة العفاف وتلك التي احافظ عليها منذ عشرين حولا فاما ان افقد اخي او افقد جوهرتي وكلاهما شر وبيل

فاراني اليوم على حافة الهـوة تدفعني الحاجة الى الاقـدام ويصدني الشرف عنها وانا بينهما في جهاد عنيف

ان اقبلت على ذلك الامر المشين انهالت علي اللعنات من كل جـانب فان الناس لا يعلمون الاثقال التي رزحت الزانية تحتها حتى تعـذر او ينشلوها من وهدة السقوط بل ينسبونها الى كل نقيصة ويرمونها بكل قول بذي بمقدار ما يثنون على ذلك الفض الغليظ فاقد الاحساس الذي اتخذ بؤسها سبيلا للوصول الى ما يريد بانهم يثنون عليه ولا ثنـاءهم على طارق او عبد الملك ابن مروان تلك تعاستي وما اقاسيه وقد حرت في امري فهب لنا من لدنك رحمة وهيء لنا من امرنا رشدا

وما وصلت الفتاة من قولها الى هذا الحد حتى ناديتها مشفقا وقد كنت منها على قاب قوسين او ادنى وقد اخرصت صوت نعلي

فانتبهت مذعورة او كانها فاقت من حلم طويل فسالتها النبا فاعادت علي القصة فقلت لها ابشرى ولن يغلب عسر يسرين

فقالت لا رجاء ولا خلاص وما تعاسة الانسان إلّا من اخيه الانسان فكل يريد استئصال اخيه ليحل محله كانما العالم لا ياويهما معا فهو لا يبحث إلّا عن سعادة نفسه ولو كان فيها هلاك الناس اجمعين

ولو آب الناس الى رشدهم وعلموا انهم اخوة وان الارض حق مشاع بينهم فساعف الغني اخاه الفقير بفضلة من ماله لما شكى هذا عسرا ولا شكى ذلك بشرا ولعاشوا جميعا في سعادة ورغد عيش

بل لو عمل المسلمون بدينهم وجعلوا في اموالهم حقا معلوما للسائل والمحروم وابن السبيل لما وجد بائس على الارض ولكنهم يتمسكون بدينهم قولا ولا يعملون به فعلا والله لا يهلك القرى بظلم واهلها مصلحون

فقلت لها هوني عليك فان الرحمة لم تفقد تماما بل لا زال اخوة بر واحسان ثم قدمتها الى الجمعية الخيرية التي اسرعت بامدادها بالعلاج والطبيب وما تحتاجه من المال فعادت الفتاة ضاحكة مستبشرة وانقذت الخيرية نفسا من الموت وشرفا من السقوط والله لا يضيع اجر المحسنين.

كيف يمكن تجديد اوروبا

تحت هذا العنوان كتب العالم الاقتصادي السويدي الكبير «قوستاف كاسيل» مدرس الاقتصاديات بجامعة استكهولم (عاصمة السويد) تقريرا رفع لكتابة «عصبة الامم» اجابة لطلبها الموجه لكافة كبار علماء الاقتصاديات وذلك للوصول لحل المشكل العظيم الذي يان منه العالم اليوم :

طالما ادعى الناس وما زالوا يكررون بدون ترو ان الحالة السيئة التي تشكو منها اوروبا الان هي نتيجة الحرب. وهذا مخالف للواقع لان الحرب وان تركت اوروبا حقيقة في حالة اقتصادية عسيرة. إلّا ان الصعوبات الجمة التي نشات من يوم اعلان الحرب والتي من نتايجها انخفاض قيمة الرقاع المالية بصفة مهولة لهي نتيجة اتباع سياسة خالية عن التبصر عاجزة عن تقدير المسائل العظيمة التي ظهرت في العالم حق قدرها من الوجهة الاقتصادية بحيث ان الظروف الجديدة المتولدة من اتباع تلك السياسة صيرت تجديد الحياة الاقتصادية باوروبا شيئا قريبا من المستحيل

نعم خطت حدود جديدة على خريطة القارة الاوربية قصت خطوط المواصلات الاقتصادية القديمة تلك الخطوط التي لم ترسم إلّا بعد عناء وتنظيم مرت عليه القرون حتى صرنا نرى مراكز الحياة الاقتصادية القديمة تموت كالنباتة التي قطعت عروقها

ان مبدا الجنسيات طبق بحيف مغاير كل المغايرة للظروف

الاقتصادية العصرية التي تتطلب سوقا داخليا متسعا وحرية حركات كبرى للتجارة الداخلية

ومهما كانت مزايا هذه المسالك السياسية فان نتائجها الاقتصادية كانت على غاية من الفساد ذلك لان الامم المغلوبة حرمت بصورة فتاكة من الاستفادة بالتجارة مع البلاد الاجنبية ولما كانت حياتها مرتكزة بكيفية عامة على التجارة الاجنبية وبالاخص على مبادلة المصنوعات بالمواد الحياتيه والاصول الاولية صارت حظوظها في عودة الحياة اليها قليلة بصورة كادت تذهب برجاءها في المستقبل

ومما يؤيد هذا ان المصالح التي يحمونها باتباع هذه السياسة التي يحاولون بها استخدام العواطف السياسية لوضع اختصاصات شخصية او وطنيه والاستفادة من هذه الفرصة الفريدة للتخلص من كل مزاحمة مكدرة. كان لها تاثير سيظهر مفعوله بعد طول بصورة لا تلائم رفاهية العالم الحقيقية. لا للعالم باعتبار مجموعه فقط بل حتى بالنظر للممالك التي ايدت تلك المصالح

***

ان حالة اوروبا الوسطى والشرقية بعد مضي عام ونصف من امضاء الهدنة اكثر ارتباك مما كانت عليه زمن الحرب. وصار يستحيل على سكان تلك الاصقاع ان يعيشوا الان داخل حدودها. كما انه ليس في استطاعتهم حرية الهجرة للجهات الملائمة بحيث اصبح من المستحيل الحط من عددهم بنسبة تسمح للباقين ان يعيشوا بنتائج البلاد. ونشا عن ذلك ان السكان الحاليين الذين يحاولون البقاء في اوطانهم

باقتناعهم بنصف القوت الاعتيادي يضيعون تدريجا قواهم المادية والادبية . وبذلك يكون حظ الجيل الاتي الذي ينهكه الجوع والمرض حياة بؤس وشقاء . نظام اقتصادي صار بطول الزمان مثالا جميلا جديرا بان يتبع في العالم باسره آخذ في الاضمحلال بغاية السرعة . ونظام اجتماعي مرتب بغاية العناية والاتقان ينحل ويتلاشى بين القلاقل المستمرة والفوضى المطلقة

ان المجهودات الانسانية الغير المنظمة ليس في امكانها ايجاد مساعدة كافية لملافات هذه الحالة بل وحتى المساعي المتقنة التنظيم لا تفيد شيئا سوى اطالة سكرات الاحتظار على هذه الامم المعذبة

اذا ينبغي ان تخلق من جديد الضروف اللازمة لحياة هذه الامم ولا يفهم من ذلك ضرورة تغيير الاتفاقات الصلحية لصعوبة ذلك الان او لان التغيير المذكور يستغرق زمنا طويلا وانما المراد مما قررناه انه يجب على من بيدهم القوة والنفوذ ان يطبقوا تلك الاتفاقات الصلحية بفهم مناسب لطبيعة وخطورة حالة اوروبا الراهنة . على ان هذه الحالة ليست مخصوصة بالدول المغلوبة فقط ذلك لان تفاقم الانحطاط الاقتصادي والانحلال الاجتماعي المشاهدان في تلك الامم لا يقفان عند حدودها ضرورة ان تناقص الانتاج في قسم عظيم من اوروبا يفضي لا محالة الى تاثيرات سيئة على بقية اوروبا لان الاعراض الاجتماعية وتاثر سلك الامم عن بعضها من الامراض المخطرة العدوى وآثار هذه العدوى بدا ظهورها في عالم الحس حيث ان الفساد الفجيء الذي اعترى الحالة الاقتصادية لبعض الدول المنتصرة

بعيد الهدنة كما هو واضح الان لهو من الانذارات للاقوام المدركين. ان اوروبا بطبيعتها عبارة عن كتلة واحدة من عدة وجوه ومن العبث محاولة ترك قسم منها في حالة انحلال مع الاعتقاد بامكان تحقيق مستقبل حياة البقية

فالوسائل العامة اللازمة لتجديد اوروبا الذي يتطلبه علماء العمران كانها منحصرة في النقط الاتية :

اولها ايجاد حالة سلم حقيقية لا تكون مقتصرة على انهاء الحروب الحاضرة بل تكون عبارة عن مشاركة ودية صادقة بين كافة الامم لتجديد حالة العالم الاقتصادية كما أن السلم الداخلي بين كافة الامم ضروري ايضا لتحقيق هذه الرغائب ومرادي بالسلم الداخلي مشاركة كافة الطبقات في هذه الغاية واعراضها نهائيا عن الاعتقاد بان محاولة تدمير مبدا الحكومات مدعات للرقي . ومثل ذلك ايجاد نظامات مالية نقدية متينة وهذا لا يتاتى إلّا اذا عاد العالم لحياة اقتصادية منتظمة من جميع الوجوه . والصعوبات الاقتصادية التي ترتبت عن تعدد الحدود الجديدة التي خططها النظام السياسي الحديث يجب تعديلها بتطبيق قاعدة المبادلة التجارية الحرة بين كافة الهيات السياسية في العالم باوسع اسلوب بحيث لا يمكن قبول اي نظام يقتضي اقامة ادنى حاجز بين الامم

فالاتجار والمبادلات العامة بين الدول على اختلافها ومرور كافة البضائع يجب تحريرها من كل القيود التي لا لزوم لها وتنفيذ هذا البرنامج يجب ان يعتبر كشرط حتمي للحصول على اي مساعدة اجنبية تعطى لهذه الدول . ثم ان هناك مسالة علائق اوروبا الوسطى مع العالم

الاجنبي اذ البلاد ذات النظام المحكم لاصدار المعمولات المختلفة الانواع لا يمكنها ان تعيش بدون منفذ حر لاسواق العالم وبالطبيعة فمن مصلحة هذه الاسواق ان تكون حرة في اقتناء ما تحتاجه من تلك المعمولات في كل جهات وجودها باسعار رابحة . اذا فتجديد العالم من الوجهة الاقتصادية لا يتم إلّا اذا انبنت المعاملات العامة على قاعدة حرية التبادل الكبرى والغاء كل تمييز بين المصنوعات منشاه اختلاف مصادرها . ولاجل ذلك ينبغي القضاء على كل سعي خاص في بخس صادرات بلاد اخرى باعتباره سعيا ممقوتا ومغايرا للمجهودات المبذولة في سبيل استعادة الثروة البشريه

***

واذا نظرنا للمسالة من جهتها الاخرى نرى انه من الضروري لكافة الدول ومن بينها دول اوروبا الوسطى المغلوبة ان تمكن من اقتناء المواد الاولية والقوتية باسعار متحدة في جميع اسواق الدنيا

كنا نرى قبل الحرب ان المستعمرات والبلاد المشبهه بها لا يمكن ان تتخذ مجالا لوضع امتيازات اقتصادية لفائدة الدول المتسلطة عليها دون غيرها لاعتبار هذا المبدا مبدا حكيما ولان اتباع قاعدة الباب المفتوح صارت اكثر تاكدا اذا لاحظنا اختصاص بعض الدول الكبرى بتلك المستعمرات واشباهها . اذ كلما ازداد اشراف بعض الدول على غيرها اتساعا إلّا وازدادت ضرورة اعتبار هذا الاشراف كوظيفة مدير يعمل لصالح العالم باسره وفيما يخص

الوصايات التي اعطيت من عصبة الامم فان هذا المبدا اعتبر كمبدإ اساسي

والبرنامج الذي من شانه اعطاء اكبر حرية ممكنة لتجارة العالم العامة لا يستروح منه التداخل في نظامات بعض الدول فيما يخص توظيف ضرائب على بعض مستهلكاتها . اذ البلاد التي هي في حالة عسر واضح لا ينبغي باي صورة ان تمنع من توظيف ادآت على واردات الترف والشفوف او تحجير دخولها بتاتا وليس من اللازم ايضا ان نفسر هذا البرنامج بصورة ضيقة تفضي الى الغاء قوانين حماية المصنوعات الملية خصوصا اذا كانت معتادة ومعتدلة . وبالتالي فانه من اللازم ان يعترف العالم بمبدا الملكية الخاصة ومن لوازم ذلك ان يعامل كافة افراد الامم بصورة متساوية

ومن بين هذه الوسائل الفعالة لتجديد حياة اوروبا الاقتصادية مسالة تنظيم النقل البحري لما لها من اهمية الاعتبار على ان جمعية الامم اعارت لقسم مهم من هذه المسالة جانبا من الالتفات إلّا ان للمسالة المذكورة وجوها اخرى جديرة بالاعتناء لان بلادا كالمانيا مفتقرة كل الافتقار للوسائط البحرية لا يمكن ان تحرم من بواخرها بصورة مخالفة للمبادي الاقتصادية بالنظر لمصالح العالم على الاطلاق . ومن المسائل الكبرى ايضا مسالة مواصلات السكك الحديدية باوروبا الوسطى وبالممالك الشرقية الكائنة على حدود روسيا فاذا تمكنا من وضع كل تلك الجهات تحت اشراف نظام « وسطي » يكون من وظيفته معاملة جميع النقليات التجارية بصورة متحدة

ويستخدم تلك السكك بطريقة مثمرة كمشروع تجاري . ويعدد له رؤوس الاموال اللازمة للقيام بوظيفته الفعالة نكون قد قمنا لتجديد اوروبا باحسن عمل يمكن اتخاذه لبلوغ الغاية المطلوبة

وتوجد ايضا مسائل لها ارتباط بالموضوع في غير تلك الممالك كفرنسا وايطاليا وبلجيكا إلّا ان حل هذه المسائل يتوقف على تنفيذ القواعد العامة التي قررناها لاصلاح حالة العالم الاقتصادية . وقابلية العالم على امداد هذه الممالك بالقروض اللازمة تتوقف طبعا على تقدمه الاقتصادي في الاعوام المقبلة . وبصورة عامة اذا اعتبرنا اوروبا كجزء واحد يجب علينا ان نعترف بان مسالة التجديد الاقتصادي ليست فقط مسالة التجديد المادي لما انهدم مدة الحرب ولا الرجوع بالنتايج الاوروبية لما كانت عليه قبل الحرب

***

ذلك لان وضعية اوروبا في الحياة الاقتصادية العامة تبدلت . فالعالم يتالم بلا شك من النقصان النسبي للمواد القوتية وبعض المواد الاولية التي تصدرها الممالك الغير الاوربية وبالضرورة فان مجهودات العالم ينبغي ان تتجه بصورة اوسع مما كانت عليه لحد الان نحو ايجاد تلك المواد . وهذا يستلزم تعديلا في توزيع سكان المعمور . فاوروبا التي اصبحت مكتضة بالسكان ينبغي للمصلحة الاقتصادية العامة نقل جانب من سكانها المباشرين للصناعات لاقاليم اخرى حيث تستخدم لانتاج تلك المواد . لان مسالة التجديد التي نبحث فيها الان لا يمكن حلها فعلا إلّا باعتبار هذه الحالة . كما ان من الغلط في نظر مصلحة العالم

الاقتصادية استعمال كل فواضل الدول ذات القوات الحياتية لتجديد اوروبا بل انه يلزم استخدام قسم من هذه الفواضل بفائدة اعم واقرب للانتاج وذلك لتنمية ثروة الدول الاخرى بمساعدة اليد العاملة الراحلة عن اوروبا. واذا لم تعترف اوروبا بهذه الحقيقة فانها ستدركها بالرغم عنها بارتفاع مقدار الفوائض فى انحاء العالم الى درجة اعلى بكثير مما تراه اوروبا مناسبا لها



من مدهشات حياة الحشرات

حياة العنكبوت (*)

الاصل في خيوط العنكبوت مادة لزجة يفرزها من ست او اربع فتحات في مؤخرة جسمه و كل فتحة من هذه الفتحات على شكل مصفاة عدد ثقوبها يبلغ الالف و تخرج المادة الصمغية من كل فتحة بهيأة الف خيط. و تنضام خيوط الاربع او الست فتحات فتكون الخيط المرئي لنا ومنه تتكون الشبكة التي نرى في نسجها اقصى ما تصل اليه الدقة و الاتقان المعجز للانسان مع ما بلغ من القدرة على تقليد دقائق صنع الطبيعة.

يتبين مما تقدم ان كل خيط من خيوط الشبكة العنكبوتية يتالف من اربعة آلاف الى ستة آلاف خيط مفتولة مع بعضها بصناعة دقيقة معجزة وقد قدر احد المشتغلين بدرس اهم دقائق الاشياء انه يلزم اربعة ملايين من خيوط العنكبوت الاصلية لجدل خيط سمكه قدر سمك الشعرة الواحدة من لحية الرجل. ويدل على متانة شبكة العنكبوت مقاومتها للهواء مهما كان عاصفا و استطاعتها حمل ندى الصباح الذي كثيرا ما تشاهد قطراته منتشرة عليها بشكل كرات.

و يقول علماء الحشرات ان اناث العنكبوت تبلغ عشرة او عشرين ضعفا من عدد ذكوره و ان طبيعة الانثى منه من الشراسة بدرجة انها على اثر تلقيح الذكر لها تحمل عليه فتقتله و تاكله اذا ضاقت دونه

(*) نقلا عن مجلة النشرة الاقتصادية المصرية عدد ١ بتاريخ ٢٥ رمضان ١٣٣٨

سبل النجاة ولعل هذا لاعتقادها انه بتلقيحها كان يريد افتراسها اذ انه يحمـل مادة التلقيح في فمه بعد اخذها من موضـع آخر في جسمه

والعنكبوت يتغذى في العادة من الذباب والبعوض الذي يقع في شباكه. وفي هذا فائدة لنـوع الانسان من حيث دفع بعض شر هـذه الهوام عنه. ويوجد من العنكبوت نوع صغير الحجم ينسج خيوطا ويتركها فيحملهما الهواء معا الى مسافات بعيدة. فقد قيل ان بعض البواخر التصقت بها خيوطه وهي على بعد اميـال من الشاطيء فاتخذها من رآها من المسـافرين دليلا على قرب الباخرة من اليابسة.

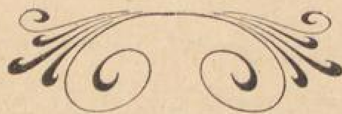
ومنه نوع عجيب يدعى «ارجي ونيت» يتناسل ويعيش في الميـاه الراكدة ويمضي حياته طورا تحت سطح الماء وطورا عليه وهو يستطيع العدو على وجه الماء بسهولة كاي حيوان او حشرة من طبيعتها العدو فوق سطح الارض ويلاحظ المتامل في هذه الحشرة بعد غوصها في الماء ان على سطح جسمها فقاقيع من الهواء متبلورة. فيستدل بذلك على كيفية معيشتها في المياه حيث تغطي جسمها بفرو تتخلله اشواك من وظيفة هذا الفرو والاشواك حبس هذه الفقاقيع فاذا عزمت انشاء على التفريخ تبدا باخذ فقاعة هواء كبيرة بين بطنها وفخذيها وتغوص في الماء الى مكان تختاره فتاخذ في صنع كيس من نسجها الحريري على شكل ناقوس فتحته من اسفله وتودع بداخله اول فقاعة ثم ترتفع الى سطح الماء حيث تعود بفقاعة اخرى وهكذا حتى تملا الكيس هواء يحل فيه محل الماء وحينئذ تستطيع ان تضع فيه بويضاتها بمعزل عن الحشرات الاخرى التي تخشى اذاها. فاذا افرخت تلك البويضـات خرج نسلها

فتتبع طريقة آبائه في تلك المعيشة الغريبة المدهشة

ومنه نوع آخر يعيش على عوامة من عمله بديعة الصنع يحركها الهواء على سطح الماء من ناحية الى اخرى وهو يشتغل بنسج كيس حريري تضع انثاه فيه بويضاتها وتحمله بتحفظ في روحاتها وغدواتها حتى اذا شعرت بقرب تفريخ البويضات عمدت الى اغصان شجرة على الشاطيء فعلقت الكيس بالشجرة ثم تتركه فتتفقص البويضات وتخرج منها فراخه ٠

وهناك نوع يستطيع تبديل لون عينيه كما تبدل الحرباء لون جلدها

ومنه نوع كبير الحجم بشع المنظر يبلغ محيط الجزء الذي يبسط عليه رجليه من الارض ٣٠ سنتيميترا ٠ وهو ينسج شبكة يبلغ من متانتها انها تستطيع قنص وحبس فار صغير يقع فيها ٠ وهذا العنكبوت يمكنه افتراس عصفور صغير يكون غير متنبه اليه بالانقضاض عليه حيث ينفث فيه مقدارا من المادة السامة التي لديه ثم يتغذى بامتصاص دمه



الشعر في اعماق السجون

غضب الخليفة المتوكل على شاعره الكبير «علي بن الجهم» وصدق فيه وشايات اعدائه المغرضين وسعايات حساده الكثيرين (وكل ذي نعمة محسود) فحبسه فلم يؤثر ذلك الحبس على همة هذا الشاعر الحر ولا اوهن عزيمته ولا ذهب بجلده وصبره . فدخل الحبس وهو ثابت الجاش مطمئن البال عالما ان حبسه (وهو ذلك الرجل الذي لم يات ما يدنس العرض او يخل بالمقام) لا يزيده إلَّا شرفا وفخرا . وبينما هو في اعماق السجن يقاسي تلك الالام الجثمانية والروحية جاشت روح الشاعرية من بين جوانبه وفاض شعوره الحساس على لسانه الفصيح . فلفظ قصيدة كانت من انفس الاعلاق . وابدع عقود الاطواق . شرح فيها ما يخالج كل نفس حرة ثم استنجد بالوزير الشهير احمد ابن ابي دؤاد واستعطف الخليفة استعطاف الاحرار . ولذلك راينا ان نزين عقد مجلتنا بهذه النفيسة الشعرية :

قالت حبست فقلت ليس بضائري * حبسي واي مهند لا يغمد

او ما رايت الليث يالف غيله * كبرا واوباش السباع تردد

والنار في احجارها مخبوءة * لا تصطلى ان لم تثرها الازند

والبدر يدركه السرار فتنجلي * ايامه وكانه متجدد

والزاعبية لا يقيم كعوبها * إلَّا الثقاف وجذوة تتوقد

غير الليالي باديات عود * والمال عارية يفاد وينفد

لا يؤيسنك من تفرج كربة * خطب اتاك به الزمان الانكد
فلكل حال معقب ولربما * اجلى لك المكروه عما تحمد
كم من عليل قد تخطاه الردى * فنجا ومات طبيبه والعود
صبرا فان اليوم يعقبه غد * ويد «العدالة» لا تطاولها يد
والحبس ما لم تغشه لدنية * شنعاء نعم المنزل المتورد
لو لم يكن في الحبس إلّا انه * لا يستذلك بالحجاب الاعبد
بيت يجدد للكريم كرامة * ويزار فيه ولا يزور ويحمد

***

يا احمد ابن ابي دؤاد انما * تدعى لكل كريهة يا احمد
ابلغ امير المومنين ودونه * خوف العدى ومخاوف لا تنفد

***

انتم بنو عم النبي محمد * اولى بما شرع النبي محمد
ما كان من حسن فانتم اهله * كرمت مغارسكم وطاب المحتد
امن «السوية» يا ابن عم محمد * خصم تقربه وآخر يبعد
ان الذين سعوا اليك بباطل * اعداء نعمتك التي لا تجحد
شهدوا وغبنا عنهم فتحكموا * فينا وليس كغايب من يشهد
لو يجمع الخصماء عندك منزل * يوما لبان لك الطريق الارشد
والشمس لولا انها محجوبة * عن ناظريك لما اضاء الفرقد

صوت الحرية العربي

للشاعر الكبير فهمي بك البغدادي

لا تسالي عن لوعتي وغرامي * بل فاسالي عن ساعدي وحسامي
ما ان اريد وان دعتني غادة * من بعد ذا وصلا من الارام
اني صددت عن اللذائذ كلها * وهجرت حتى راحتي ومنامي
اني اروم لآل يعرب موطنا * فيه ارى عزي ونيل مرامي
اني كما عهدت كرام عشيرتي * ما عشت لا ارضى لهم بالذام
فض غليظ ما دعيت لنازل * سهل الخليقة حافظ لذمام
ما ان خضعت لحادث يوما ولا * طاطات من ضيم الى الايام
لكنما والمرء غير مخير * اصبحت نهبا في يد الاسقام
ما لي سوى قلب يود لهم هدى * ان يهتدوا في مصرهم او شام
فهم الاولى سادوا الاوايل بالحجى * والعزم والتدبير والاقدام
كانوا ملوكا حيث لا ملك هنا * ك ولا لقوم حاكم او حامي
فتحوا البلاد بشرقها وبغربها * وتعززوا بالعدل في الاحكام
رفعوا منار العلم في عصر به * كان الورى بضلالة وظلام
كشفوا البحار ومهدوا طرق الهدي * واستخدموا الارصاد للاجرام
فهم الاولى عرفوا بكل فضيلة * وهم الاولى عرفوا بضرب الهام
واليوم لا تلقى لهم بديارهم * يا للعزاء سوى رفاة مظام

وسوى القبور الدارسات واحرفا * مسطورة في جبهة الايام
قالوا تريد الحكم حكما مطلقا * ما ذا سوى وهم من الاوهام
ارايت في التاريخ قامت دولة * من غير مال او بدون عظام
ولهم خزائن تحت اطباق الثرى * مدفونة في دفة الاعوام
يجري النعيم بارضهم وهم به * يشكون من سغب وحر اوام
وتراهم والمال بين يديهم * يبكون من فقر وفقد حطام
او ما ارى يا رب قومي يهتدو * ن الى النجاح كسائر الاقوام
ما ضاع حكم القوم في اوطانهم * لو كان فيهم من فتى مقدام

***

لكن ساذهب في البلاد منقبا * بين المهاد وفي ذرى الاكام
فعسى ارى من آل خالد بضعة * او نطفة من هاشم وهشام
فعسى ارى من طارق اثرا ومن * أعوانه علما من الاعلام
فعسى ارى من آل وقاص فتى * ينمى ببغداد على اعمامي
فهناك ارفع راية عربية * ما مسها اثم من الاثام
وهناك ابسط دعوتي ومطالبي * وابث شكوى من ضمير دامي
وارد تعريض المعرض عنده * واسل في تلك البقاع حسامي
اما حياة حرة مرضية * فيها انال سعادتي ومرامي
وابيت ليلي لا ارى بسواده * إلّا نفوذ حكومتي وامامي
او انني فيها اموت مخضبا * بدمي واعذر والكلام كلامي
فعليك مني يا ديار عشيرتي * من بعد الف تحية وسلام

شـذرات

« تاثير الشعر وعـدل الفاروق »

كان لامية بن الاشتر الكناني الصحابي ابن اسمه كلاب ذهب غازيا مع ابي موسى الاشعري في خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنهم فاشتاقه ابوه فدخل على عمر في المسجد فانشده :

اعاذل قد عذلت بغير قدر * وما تدرين عاذل ما الاقي
فاما كنت عاذلتي فردي * كلابا اذ توجه للعراق
فتى الفتيان في عسر ويسر * شديد الركن في يوم التلاق
فلا وابيك ما باليت وجدي * ولا شغفي عليك ولا اشتياقي
وايقادي عليك اذا شتونا * وضمك تحت نحري واعتناقي
فلو فلق الفؤاد شديد وجـد * لهم سواد قلبي بانفلاق
ساستعدي على الفاروق ربا * له عمد الحجيج الى بساق
وادعـوا الله محتسبا عليه * ببطن الاخشبين الى دفاق
ان الفاروق لم يردد كلابا * على شخين هامهما زواق

فبكى الفاروق رضي الله عنه وكتب برد كلاب

« الشــورى »

اكثر الشعراء القول في مدح الشورى والحث عليها واحسن ما قراته في ذلك قول بشار بن برد : (١)

اذا بلغ الرأي النصيحة فاستعن * بعزم نصيح او بتأييد حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة * مكان الخوافي نافع للقوادم
وخل الهوينا للضعيف ولا تكن * نؤوما فان الحزم ليس بنائم
وما خير كف امسك الغل اختها * وما خير سيف لم يؤيد بقائم
وحارب اذا لم تعط إلّا ظلامة * شبا الحرب خير من قبول المظالم
وادن على القربى المقرب نفسه * ولا تشهد الشورى امرؤا غير كاتم
فانك لا تستطرد الهم بالمنى * ولا تبلغ العلياء بغير المكارم
اذا كنت فردا هرك القوم مقبلا * وان كنت ادنى لم تفز بالمغانم
وما قرع الاقوام مثل مشيع (٢) * اريب ولا جلى العما مثل عالم

« الولاية والعــزل »

من احسن ما قيل في ذلك :

لكل ولاية لا بد عزل * وصرف الدهر عقد ثم حل
واحسن سيرة تبقى لوال * مدى الايام احسان وعدل

---

(١) من شعراء الطبقة الاولى في خلافة بني العباس وهو اول المحدثين واول من نقل الشعر من البداوة الى الحضارة وكان شاعرا فحلا مجيدا وكان ضريرا امتهما بالزندقة فقتله المهدي سنة ١٦٢ حيث وجده على حالة سكر يوذن في غير اوقات الصلاة . ونبه الخليفه اليه وزيره يعقوب بن داود حيث احفظه قوله فيه

بني امية هبوا من منامكمو * ان الخليفة يعقوب ابن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا * خليفة الله بين الناي والعود

(٢) له شيعة اي مويد بحزب

﴿ تذكر الهجر في سويعات الوصال ﴾

لابي الحسن على بن رشيق القيرواني :

فكرت ليلة وصلها في هجرها * فجرت بقايا أدمعي كالعندم
فطفقت امسح مدمعي في نحرها * اذ عادة الكافور امساك الدم

﴿ الفرج بعد الشدة ﴾

اكثر الشعراء القول في الرجاء والامل والاعتماد على فضل الله والثقة بجميل كرمه ولطيف عنايته ومن ابلغ ما قراته واشده تاثيرا في النفوس قول ابي تمام (١) حبيب بن اوس الطائي :

اذا اشتملت على اليأس القلوب * وضاق لما به الصدر الرحيب
واوطنت المكاره واطمانت * وارست في مكامنها الخطوب
ولم تر لانكشاف الضر وجها * ولا اغنى بحيلته الاريب
اتاك على قنوط منك غوث * يمن به اللطيف المستجيب
فكل الحادثات وان تناهت * فموصول بها فرج قريب

﴿ مصائب الحرب ﴾

﴿ حافظ – وشكسبير ﴾

من مصائب الحرب الذاهبة ان اغلقت امامنا ابواب الشرق وسدت علينا منافذ العالم الاسلامي فانقطع عنا ذلك النور الادبي الذي كانت

(١) من شعراء المعتصم العباسي . شاعر كبير معروف حسناته الشعرية اكثر من ان تحصى الا انه مفتون بالتكلف والتصنع وفخامة اللفظ وجزالة الكلام فكان هذا سببا في سقطاته المعدوده رغما عن حسناته الجمه توفي سنة ٢٣١ هجرية

تنبعث الينا اشعته من افكار العلماء وقرايح الادباء من ابناء الشرق

مرت علينا تلك السنون الحالكة ولم نسمع فيها لحافظ ولا لغيره من بقية الشعراء صوتا ولم نقرا لكاتب مقالا ولا لعالم تاليفا فانقطعت بيننا وبينهم صلات الادب الوثيقة العرى

القت الي الصدفة اعدادا من جريدة « المستقبل » العربية التي كانت تصدر بباريس في سني الحرب فرايت فيها نفسا من انفاس حافظ ـ وزفرة من زفراته الحارة :

احتفلت الامة الانقليزية بذكر شاعرها الكبير ومؤسس دعائم ادبها الحديث « شكسبير » بمناسبة مرور ثلاثمائة عام على وفاته فنظم حافظ قصيدة عصماء يقول في طالعها :

يحييك من ارض الكنانة شاعر * ولوع بقول العبقريين (١) مغرم

الى ان يقول (وهي عيون القصيدة التي تجلت فيها روح الشاعرية الكبرى التي يحملها حافظ بين جنبيه ـ وهو كل ما علق بحفظي منها ـ

افق ساعة وانظر الى الخلق نظرة * تجدهم وان راق الطلاء هم هم

على ظهرها من شر اطماعهم دم * وتحت عباب البحر من شرهم دم

***

فليتك تحيا يا ابا الشعر ساعة * لتنظر ما يصمي ويدمي ويؤلم

وقائع حرب اجج العلم نارها * فكاد بها عهد الحضارة يختم

وتعلم ان الطبع لا زال غالبا * سواء جهول القوم والمتعلم

فما بلغت منه الحضارة مبلغا * ولا نال منه العلم ما كان يزعم

(١) جمع عبقري. نسبة الى عبقر وهو كل ما يتعجب من كماله وقوته وحذقه

حوادث الشهرين

غيوم متلبدة و ارياح عاصفة و برق يمزق الجو من حين لاخر ذلك كان منظر سماء اوروبا السياسي فكنت ترى الناس في حيرة و ارتباك مما سيطرا عن تلك الزوبعة الكبرى التي بدا دويها يرن في حدود البلاد الشرقية وصداها تردده عواصم الجانب الغربي من اوروبا. لم يكن الاهتمام بامر تقدم جنود البلشفيك في اراضي بولونيا ناشئا عن خوف من القوات الزاحفة اذ ذاك على فرسوفيا و انما هي القلاقل و الانقلابات التي كانوا يتوقعونها هناك بمجرد انتصار الجيوش الحمرا غير ان المقادير جاءت بعكس ما كانت تؤمله الهيئات الانقلابية بالبلاد الغربية فلم تكن إلّا عشية او ضحاها حتى انقلب عساكر السوفيات على اعقابهم مسرعين تطاردهم الجنود البولونية من نقطة الى اخرى و تشيعهم الاحزاب الاشتراكية باعين ملؤها التكدر والقنوط ولكن هذا الحادث الغريب الذي لم يكن يصدق به احد قبل وقوعه ببضعة ايام كاد يقضي على الاتفاق الفرنسوي الانقليزي ضرورة ان منهج السياستين تجاه المسالة الروسية لم يكن واحدا اذ بينما ترى انقلترا تعتقد لزوم ربط علايق تجارية مع حكومة مسكو وسلوك سياسة معتدلة معها كانت الخارجية الفرنساوية ترفض بتاتا المفاهمة مع رجال السوفيت و توبد الزعماء الروسيين الذين نهضوا لمقاومتهم. والسر في هذا الخلاف هو ان انقلترا تعد اوروبا جسما سياسيا واحدا اذا قطع عضو منه تاثر المجموع لا محاله وانه لا يمكن

تدارك ما اضاعته هذه القارة من القوات الادبية والمادية بسبب الحرب الاخيرة ما دامت المانيا من جهة وروسيا من اخرى مبعدتين عن المشاركة في العملية التي من شانها اعانة الممالك الاخرى على استعادة صحتها - ومن توهم خلاف ذلك فهو بمثابة من رضي ببتر رجله المصابة ظنا منه انه افاد ذاته مع انه في الواقع يمكن علاجها بدون هذه العملية.

كما ان الراي العام الانقليزي يعتقد ان لا وسيلة لانتشال شيء من المدنية الاوروبية من الاضمحلال الذي يهددها اليوم سوى بسط لواء السلام على هذه القارة من الان[1] وعلى عكس هذه القاعدة جرت سياسة الحكومة الفرنساوية فان غالب الدواير العالية بباريس ترى انه لا يمكن استيناف عقد العلايق مع روسيا ما دامت حكومتها على شكلها الحالي وان احكم سياسة تتبع نحوها هي سياسة المقاطعة والالغاء ومساعدة اعداء النظام البلشفيكي الى ان يتمكنوا من ابداله بحكومة تلايم المبادي الديمقراطية الحقة.

***

على اثر هذا الخلاف المبدئي تلاقي رئيسا حكومتي بريطانيا العظمى وايطاليا بمدينة لوسرن بسويسرا للمفاوضة في المسائل الهامة التي يتوقف على حلها مستقبل اوروبا والنظر في الطور الجديد الذي دخلت فيه السياسة الغربية بسبب اعتراف فرنسا بحكومة الجنرال فرانجال الضارب في جنوب روسيا وكانت الجرايد الكبرى تعلق على هذا

(١) مجلة اوروبا الجديدة عدد ٢٩ اوت سنة ١٩٢٠

الاجتماع الشروح المسهبة لما له في نظرها من الاهميـة وربما خامر ظن بعضهم ان مركز الاتفاق الفرنساوي الانقليزي لا يبقى متينا بعد هذه المحاضرات وان مهيع السياسة الانقليزية نحو حليفتهـا الاولى سيتغير بلا شك نظرا لاختلافهما في فهم المشكلة الروسية ولكن الامر لم يكن كما توهمـوا حيث انتهت المحاورات على وفاق تام بين الوزيرين فيما يخص غالب المسائـل الحالية وعلى الاعتراف باصابة راي مسيو ميلران رئيس الحكومة الفرنساوية يومئـذ والذي انتخب رئيسا للجمهورية الفرنساوية يوم ٢٧ من سبتمبر المنصرم اثر استقالة مسيو دي شينال من خطة الرياسة لاسباب صحية والاعراب له ايضا عن طمانينة وثقة الوزارتين الايطالية والبريطانية بسياسته ومما يويد ذلك زيارة مسيو جيوليتي لمسيو ميلران بعيد مفارقة لويد جورج بمدينة ايكس ليبان والاعلان باتفاق ايطاليا وفرنسا في المسايل الاوروبية والشرقية وفعلا فان من ينظر في الاحوال بالبلاد الشرقية بعين الخبرة والتدقيق يرى ان دواعي الشقاق قليلة هنـاك بين ايطاليا وفرنسا وان كلتا الدولتين حاولتا ولم تنفك عن محاولة الاحتفـاظ بالبقية الباقية من تركيا وصيانة كيانها من التلاشي الذي تدفعها اليه قساوة السياسة البريطانية اذ لم يعد خافيا عن كل ذي بصيرة ان دسايس انقلتيرا كانت من اقوى العوامل على تفكيك اواصر السلطنة العثمانية.

وما ترامي اليونان على ازمير وتوغله في ولاية ايدين واستيلاوه فيما بعد على تراكيا الشرقية واعتراف المؤتمر له بحق امتلاك تلك

المقاطعات التركية البحتة إلّا بانفاس واعانة خارجية انقلتيرا - ومن الغريب ان بريطانيا العظمى تلك الدولة الاستعمارية الكبرى لم تحفل باعتراضات الاحزاب الهندية على اختلاف مشاربها واحتجاجات العالم الاسلامي باسره على تقسيم تركيا ومس عظمة خليفة المسلمين مع ان مصلحتها تقضي عليها بمجاملة المسلمين ومراعاة احساساتهم الدينية سيما وان العالم اجمع في هيجان عظيم فهولاء العملة الايطاليون آخذون في تتبع آثار البلشفيك شبرا بشبر تحت ستار طلب المساوات مع اصحاب رؤس الاموال ولئن دخلت المسالة الان في طور التسوية فانما تسويتها وقتية ولا تلبث ان تعود باشد مما كانت عليه. وهذه الامم العربية التي وعدت بالاستقلال ومنح الحرية التامة لم تحصل على مرغوبها واصبحت مرتابة في حسن نوايا من وعدها ولم يتمم وعده وقد اشتد بها الغليان والقنوط لما رات تلاعب السياسة الغربية بالمبادي الانسانية كذبا وبهتانا وفهمت ان مقاصد اوروبا محصورة في المصالح المادية البحتة وان الطبيعة البشرية لم تتغير بحوادث هذه الحرب الكبرى التي غيرت افكار الشعوب والامم قاطبة وزحزحت الهيئات الاجتماعية على اختلاف الوانها ودرجاتها في الرقي عن اعتقاداتها القديمة وزرعت فيها روحا جديدة تتطلب الانصاف والمساوات على ان المتتبع لماجريات الاحوال السياسية يرى ان الواجب على الدول الكبرى ملافات هذه الحالة والسير وراء ما يقتضيه الوقت من مواتات الشعوب حقها والعمل باهتمام لانجاز مطالبها العادلة خصوصا دولة انكلتيرا التي اصبحت في حالة حرجة بسبب تطور المسالة الايرلاندية

ودخولهم في ميدان المكافحة وافتكاك حقهم من يد مغتصبه بقوة السلاح غير انه يرى الامر على عكس ذلك والسبب الوحيد لهذا السلوك الغريب هو اتباع السياسة الانكليزية خلال السنين الماضية للتعصب المذهبي والاندفاع للعوامل الحسية التي تغلبت هناك على العقول واخمدت ما امتاز به هذا العنصر الذكي من الفطنة وسداد الراي ·



نبـذ تـاريخية

تنشر تحت هذا العنوان فصولا متتابعة اقتطفناها من الكتاب النفيس « المسمى بمفتاح التاريخ » الذي خطه يراع فقيد العلم والوطن ابو الشبيبة التونسية ومحي شعورها العالم الجليل والوطني الكبير المرحوم السيد محمد البشير صفر

كما نبشر قراء العربية بان نجله الكريم صديقنا المحترم السيد مصطفى صفر الذي سمح للمجلة بنشر هذه النبذ اللطيفة . سيقدم هذا الاثر التاريخي للطبع في القريب الاتي خدمة للعلم وعبرة للمعتبرين :

الانقلابات السياسية

﴿التي طرات على الدولة العثمانية﴾

اهمية الدولة العثمانية لدى المسلمين - بداية هذه الدولة - ولاية ارطغرل (٦٨٠_٦٨٧) ولاية ابنه عثمان بك تحت سيادة الدولة السلجوقية (٦٨٧_٦٩٩) انقراض الدولة السلجوقية واستقلال السلطان عثمان (٦٩٩_٧٢٦).

لهذه الدولة مكانة كبرى في قلوب المسلمين شرقا وغربا

اولا - لانها دولة الخلافة الاسلامية وبيدها مقاليد الحرمين الشريفين

ثانيا - لانها الدولة الوحيدة التي تمثل السلطة الاسلامية لهذا العهد

ثالثا - لانها ظهرت في عصر اصيب فيه المسلمون شرقا وغربا برزايا كادت ان تقضي على الاسلام دينا وسياسة

فالتتار بالشرق دمروا الدولة العباسية والدولة السلجوقية .

والاسبانيول بالغرب اسقطوا دولة الاسلام بالاندلس واضطهدوا المسلمين اضطهادا دينيا وحاولوا بسط سلطتهم السياسية والدينية على المسلمين بشمال افريقيا

ولم يكن اذذاك في دول الاسلام من يستطيع دفع تلك المدلهمات سوى الدولة العثمانية . فابادت حكم التتار واطردت الاسبانيول من شمال افريقيا فلمت شعث المسلمين ونصرت الاسلام في زمن كانت حروبه دينية لا تجارية سياسية كالغزوات الاستعمارية لهذا العهد

اسست هذه الدولة قبيلة تركمانية حلت باسيا الصغرى اثناء الحروب التتارية في القرن السابع للهجرة وكانت مواليه للسلجوقيين في مقاومتهم للتتار فانعم عليها آخر سلاطين السلجوقيين بولاية في الجهة المعروفة الان بخداوندكار فصارت امارة تركمانية تحت رئاسة ارطغرل (عام ٦٨٠) ولما مات خلفه ابنه عثمان بك (٦٨٧) ثم توفي السلطان السلجوقي وانحلت دولته وانقسمت الى اثنتي عشرة مملكة . اعلن عثمان استقلاله وسمي سلطانا (عام ٦٩٩هـ) فوجه عنايته لغزو من جاوره من الروم وافتتح حصونا كثيرة اهمها مدينة بورصة التي تم فتحها على يد ابنه اورخان

﴿ دور الفتوحات ﴾

﴿ السلطان اورخان – ٧٢٦_٧٦١هـ ﴾

لما تسلطن اورخان استوزر اخاه الاكبر علاء الدين واحدث جيشا نظاميا سماه (يني شري) وهو المعروف بالانكشارية فكان اول جند

نظامي باروبا لذلك العهد واستعمله السلطان في غزواته واتخذ مدينة (بورصة) قاعدة ملكه ثم اجاز عساكره الى اوروبا تحت قيادة اخيه الاصغر سليمان باشا فافتتحوا رودستو وكليبولي وبولاير وغيرها (عام ٧٥٥ﻫ) ثم خلفه ابنه مراد الاول فافتتح بلاد تراقيا وادرنه ونقل اليها تخت السلطنة (عام ٧٦٢ﻫ) وبذلك انحصرت سلطة قيصر الروم في القسطنطينية واحوازها فاعرض عنها السلطان لعلمه انها واقعة بايدي العثمانيين لا محالة وسار نحو الشمال فتالب عليه البلغار والصرب والارناووط والبوشناق فهزم جموعهم في وقعة (قوصوه) الشهيرة واستولى على جانب كبير من اوطانهم (عام ٧٩١ﻫ) وتحيل احد نبلاء الصربيين بعد الهزيمة وقرب من السلطان وطعنه بخنجر فمات وخلفه ابنه بايزيد الاول المعروف بيلدرم - اي الصاعقة - فاستمر على الغزو وضم الى ممالكه امارات ايدين وصاروطان والقرمان وتوقات وسيواس وقسطموني وعزم على فتح بقية بلاد البلغار فاستنجد ملكهم باسم النصرانية واجتمع لديه جم غفير من نبلاء الافرنج واعيانهم فهزمهم السلطان شر هزيمة بوقعة (نيقوبولي) الشهيرة وضم مملكة البلغار الى السلطنة (عام ٧٩٨ﻫ) وهذا السلطان هو الذي غزى الافلاق والبغدان وضرب الجزية على اميرها مع ابقاءه مستقلا بالادارة الداخلية . ثم حصلت وحشة بينه وبين تيمورلنك سلطان التتار الشهير فانهزم بايزيد وصهره ملك الصرب هزيمة كبرى في وقعة انقره (سنة ٨٠٤ﻫ) ومات السلطان اسيرا فتنازع ابناءه من بعده وكثرت الفتن واسترجع امراء آسيا الصغرى ممالكهم وعاد

امراء الصرب والبلغار الى استقلالهم واشرفت السلطنة على الزوال ثم انتصر ابنه محمد الاول على اخويه موسى وسليمان واستقل بالملك واشتغل باصلاح ادارة السلطنة وتوقفت حركة الفتوحات الى ان آل الامر الى مراد الثاني فاستانف محاربة الارناووط ثم تنازل عن الملك واقام مقامه ابنه محمد الثاني وكان حديث السن فتالب عليه ملوك المجر وترنسلفانيا ومن انضم اليهم من بعض امراء النصرانية فعاد مراد الثاني الى الملك وهزمهم في وقعة (وارنة) الشهيرة وبذلك تايدت اركان سلطنته (عام ٨٤٨هـ) ولما مات خلفه ابنه محمد الثاني ووجه همته لفتح القسطنطينية فاستنجد قيصرها بملوك النصرانية والتمس من البابا ان يجمع ملوك النصارى لحرب صليبية فاشترط عليه نبذ المذهب الاورتودوكسي والانضمام الى الكنيسة الكاتوليكية فاجابه لذلك فثارت عليه رعيته ونادى قسوسهم في الكنايس بان سلطة الترك احب اليهم من الانضمام الى الكاتوليك فتركهم البابا وشانهم وكان الروم اذ ذاك منغمسين في دياجي الاوهام لا شغل لهم سوى المجادلات الدينية والمناقشات المذهبية فاستنجدهم قيصرهم فلم ينجدوه بناء على ما اخبرهم به قسوسهم من انهم شاهدوا مريم العذراء على اسوار المدينة وان الملائكة ستنزل من السماء لحماية القسطنطينية وطرد الاتراك . وبذلك لم يجد القيصر من ينصره سوى بضعة آلاف من الافرنج الذين كانت لهم تجارة ببلاده وهجم السلطان بجنوده على المدينة ودخلها عنوة بينما كان آلاف من اعيان الروم وقسوسهم مجتمعين بكنيسة آيا صوفيا وغيرها يناقشون في اللاهوت

والناسوت ويجادلون في مسالة النور الازلي وتقديس سرة العذراء منتظرين قيام القديسين من قبورهم وظهور مريم على الاسوار ونزول الملائكة للحرب والكفاح (عام ٨٥٧ه)

ولما تم الفتح صارت الاستانة عاصمة السلطنة وعامل السلطان رعاياه من الروم بغاية العدل ومنحهم الحرية الدينية على جزية يدفعونها وابقى رؤساءهم الروحيين واوقافهم وشرايعهم. ثم تمادى محمد الثاني على غزواته فافتتح باوربا بلاد اليونان وشبه جزيرة الكرم ومن آسيا بلاد القرمان ومملكة لازستان. ثم خلفه ابنه بايزيد الثانى فلم يقع على عهده من الفتوحات ما يستحق الذكر ومات فخلفه ابنه سليم الاول (ياوز سليم) وكان جبارا فغزى الفرس واستولى على العراق والشام ومصر وكان بها آخر الخلفاء العباسيين فتسلم منه مقاليد الخلافة ومن ذلك العهد صارت الخلافة الاسلامية في آل عثمان (عام ٩٢٢ ه)

ثم خلفه ابنه السلطان سليمان المشهور بالقانونى وعلى عهده بلغت السلطنة اوج السطوة والاتساع ودامت خلافته سبعة واربعين عاما قضاها في الغزو والفتوحات وسن القوانين والنظامات وكثر على عهده الادباء والعلماء واشهرهم العلامة ابو السعود وكانت النمسا وهي ذات السيطرة على جميع الممالك الالمانية لذلك العهد تحاول الاستيلاء على مملكة المجر فاستنجد ملكها بالسلطان فانجده واستولى على بلغراد وسماها سد الاسلام ثم توغل في المجر وهزم الالمان هزيمة كبرى في وقعة (قهاقس) (عام ٩٣٢ ه) واستولى على بوده - بوشته وجنوب المجر ووضع بقية مملكة المجر تحت حمايته ثم توغل في النمسا

وحاصر مدينة فينا (عام ٩٣٥ ﻫ) وعلى عهده تم فتح جزيرة رودس بعد حصار طويل وحروب عنيفة

وكان اعظم ملوك النصرانية في ذلك العصر ملك اسبانيا وامبراطور النمسا شارل الخامس المعروف بشارلكان ورث هاتين المملكتين من ابيه امبراطور النمسا وامه بنت ملك اسبانيا فردينانـد الكاتوليكي الذي اسقط آخر دولة اسلامية بالاندلس وهي بني الاحمر بغرناطة — (سنة ٨٩٧ﻫ) ولم يكن لهذا الامبراطور مزاحم في السلطة من ملوك النصاري سوى ملك فرنسا فرنسوا الاول ووقعت بينهما حروب كبرى انهزم فيها ملك فرنسا ووقع اسيرا بيد عدوه في حدود (سنة ٩٣١ﻫ) فاستنجدت امه بالسلطان سليمان فامدها باسطول عظيم واستانف فرنسوا الحرب مع شارلكان باتحاد مع السلطان وتم له مراده في الاستئلاء على بض المراسي التي كانت بيد الاسبانيول بايطاليا وكرسكا حكى الاميرال دولاغرافيار في تاريخ تلك الوقائع ان مجرد ظهور الاسطول العثماني بتلك المراسي كان كافيا لاستسلام اهلها بدون حرب ولا قتال للرعب الذي كان متمكنا في القلوب من سطوة الاتراك

ومن ذلك التاريخ صارت فرنسا محالفة للدولة العثمانية حيث اتحدت مصالحهما ضد النمسا وهي المانيا القديمة كما اتحدت مصالح فرنسا والروسيا لهذا العهد ضد المانيا الحديثة ومن ذلك العهد ايضا خول السلطان دولة فرنسا بعض الامتيازات لقناصلها ونوابها وهي نفس الامتيازات التي اعطيت فيما بعد الى كافة الدول المسيحية وانما اختصت فرنسا بحماية النصرانية في بيت المقدس

ومن الاسباب التي تحكمت بها العداوة بين السلطان سليمان والامبراطور شارلكان نقض اسبانيا لمعاهدة غرناطة التي التزمت فيها باحترام الديانة الاسلامية وبعد خمسة عشر عاما من امضاءها نكثت العهود وحاولت اكراه المسلمين على التنصر واستعملت لتلك الغاية من وسائل التعذيب والاضطهاد بالقتل والحرق ما لا يكاد يوجد له نظير في تواريخ الامم وكثيرا ما استصرخ اولئك المسلمون سلطان العثمانيين وخاف الامبراطور ان يضع الاتراك قدمهم بشمال افريقيا ويتخذوها مركزا لحركات اساطيلهم ضد اسبانيا فعزم على فتح الجزائر لقطع المواصلات فانكسرت اساطيله بعاصف من الريح وبادر خير الدين التركي واخوه عروج الى الاستيلاء على الجزائر ووضعها تحت السلطة العثمانية ثم عرج خير الدين على تونس وانزل بها عساكره فاستنجد اميرها ـ الحسن الحفصي ـ بامبراطور اسبانيا فقدم شارلكان في جيش عظيم واستولى على تونس بعد ان تغلب على خير الدين واعاد الحفصي الى مملكته على شروط مهينة وترك حاميات اسبانيولية ببعض المراسي التونسية كل ذلك خوفا من امتداد السلطة العثمانية بالبحر المتوسط وعلى عهد السلطان سليمان ايضا استولى العثمانيون على طرابلس وكانت تابعة لجمهورية جنوه

وبعد وفاة سليمان تولى ابنه سليم الثاني وهو اول حلقة من سلسلة السلاطين الذين ركنوا الى الراحة وتركوا الخروج الى الغزو بانفسهم ولكن كان له وزيران شهيران استمرت بهمتهما عظمة السلطنة وهما الصدر محمد سقلي والغازي سنان باشا فالاول اثخن في

النمسا والثاني افتتح اليمن وجزيرة قبرص ثم غزى تونس واطرد منها الاسبانيول بعد ان لبثوا بها اربعين عاما (سنة ٩٨١هـ) وقبيل هذا الفتح اتحدت اساطيل اسبانيا والبابا وجنوه والبنادقه وهجمت على الاسطول العثماني بخليج ليبانته فتدمر الاسطول العثماني وقتل قائده مصطفى باشا وعم السرور بلاد النصرانية وامر البابا باقامة صلوات في جميع الكنايس حيث كانت تلك اول هزيمة حقيقية حلت بالعثمانيين منذ تاسست السلطنة حتى قال احد مؤرخي الطليان ان وقعة ليبانته اظهرت للعالم المسيحي ان الترك بشر كساير البشر

وبالرغم عن هذه الهزيمة البحرية فقد خشيت الدول المحاربة ان ينتقم منهم السلطان برا فبادروا لطلب الصلح والتزموا بترجيع ما غنموه من المراسي ولما اجتمع سفراءهم بالصدر محمد سقلي اظهر نخوة عجيبة وقال لهم قولوا لملوككم انهم بتدمير اسطولنا انما قلموا اضافرنا ولا بد للاضافر ان تعودو لكننا سنقطع منهم الاعضاء والمفاصل وان لنا من القوة والثروة ما يسمح لنا بانشاء اسطول عوده من الند ومقاذيفه من ذهب وحباله من حرير - ثم اذنهم بالمكث في الاستانة ثلاثة اشهر وامر جميع مراسي السلطنة بانشاء السفن الحربية فلم تمض تلك المدة إلّا وقد اجتمع بالبسفور اربعمائة سفينة على اهبة القتال فاستعرضها محمد سقلي امام السفراء وقال هاهي الاضافر قد عادت فماذا تقولون لملوككم فاجابوا انهم سيقولون انهم شاهدوا اول دولة قوية في العالم . وقد بسطنا القول فى هذا الباب لتعلم ما كانت عليه الدولة العثمانية في اواخر القرن العاشر من السطوة

والجبروت وتقابل حالة الامس بحالة اليوم وتعتبر بتبادل الايام وتقلبات الاحوال (يتبع)

التراجم

الحكيم ابن الجزار القيرواني

نسبه وتفننه ونزاهته

هو ابو جعفر احمد بن ابراهيم ابن ابي خالد المعروف بابن الجزار من اهل القيروان طبيب ابن طبيب وعمه طبيب عاش الى اوائل القرن الرابع للهجرة وهو من اهل الحفظ والمطالعة والدراسة للطب وسائر العلوم حسن الفهم لها اخذ لنفسه ماخذا عجيبا في سمته وهديه ولم يحفظ عنه بالقيروان زلة قط ولا اخلد الى لذة وكان يشهد الجنائز ويحضر الولائم ولا ياكل فيها ولا يركب قط لعيادة احد من رجال الدولة ولا الى السلطان إلّا الى ابي طالب عم السلطان معد [1] لانه

(١) هو المعز لدين الله العبيدي - واسمه ابو تميم معد جلس على كرسي المملكة التونسية بعد ابيه وكان من اعظم الملوك قدرا واجلهم خطرا استهل المعز ولايته بارسال جيش الى المغرب الاقصى فاخضعه (سنة ٣٤٢) وبذلك اتسعت المملكة التونسية من البحر المحيط الى برقه وفي (سنة ٣٥٨) ارسل جيشا كثيفا على مصر بقيادة (جوهر الكاتب) فدخلها بدون مقاومة لاختلال احوالها (بعد وفاة كافور الاخشيدي) وخطب فيها جوهر باسم سيده المعز (ابو تميم معد) بعد ان اختط مدينة سماها (القاهرة المعزية) وبذلك اصبحت الديار المصرية في ذلك الوقت تابعة للدولة التونسية

كان له صديقا قديما فكان يزوره ايام الجمع فقط و كان يرحل في كل عام للمنستير وهي اذ ذاك محل رباط للاصطياف بها و يمكث هناك طول ايام القيظ ثم يرجع للقيروان

صيدليته ومحل عيادته

ترفعه عن اخذ الاجرة واثمان الادوية

كانت له سقيفة على باب داره اقعد فيها غلاما له يسمى برشيق واعد فيها بين يد الغلام جميع المعجونات و الاشربة و الادوية وبعد روية القوارير بالغداة يامر ابن الجزار بالدخول على الغلام و اخذ الادوية منه بدون ان ياخذ من احد شيئا

جاءه مرة لبيته (محل عيادته) وهو غاص بالناس ابن اخي «النعمان» القاضي و كان من الاحداث الاجلاء بالقيروان ناهيك ان القاضي يستخلفه في الحكم اذا منعه مانع ؟ فلم يجد مقعدا يجلس فيه إلّا مقعد الحكيم ولما دخل ابن الجزار للبيت قام له ابن اخي القاضي على قدم فلم يقعده الحكيم ابن الجزار من جديد بل تركه واقفا وأراه وهو على تلك الحالة قارورة ماء (اي بول) لابن عمه ولد النعمان واستوفى جوابه عليها ثم خرج وركب وما كدح ذلك في نفسه بل كرر اليه المجيء في مساء كل يوم حتى برئ العليل وفي ضحوة نهار بعض الايام اقبل رسول النعمان القاضي على ابن الجزار بكتاب شكره فيه على ما تولى من علاج ابنه ومعه كسوة في منديل و ثلاثمائة مثقال فقرا الحكيم الكتاب وجاوبه شاكرا ولم يقبض المال ولا الكسوة . فكلمه

بعض اصدقائه في ذلك وقال له : رزق ساقه الله اليك فاجابه ابن الجزار ؛ والله لا كان لرجال الامير معد قبلي نعمة

« وفاته ومخلفاته »

مات الحكيم ابن الجزار عن سن يناهز الثمانين بالقيروان وكان يهم بالرحلة الى الاندلس ولم ينفذ ذلك وقد ترك اربعة وعشرين الف دينار وخمسة وعشرين قنطار من كتب طبية وغيرها

☆ مؤلفاته ☆

(١) كتاب الاعتماد في الادوية المفردة (٢) كتاب البغية في الادوية المركبة (٣) كتاب العدة لطول المدة وهو اكبر كتاب له في الطب (وحكى جمال الدين بن القفطي انه راى لابن الجزار كتابا كبيرا في الطب اسمه (٤) قوت المقيم في عشرين مجلد) (٥) كتاب التعريف بصحيح التاريخ وهو تاريخ مختصر يشتمل على وفيات علماء زمانه وقطعة جميلة من اخبارهم (٦) رسالة في النفس واختلاف الاوائل فيها (٧) كتاب في المعدة وامراضها ومداواتها (٨) كتاب طب الفقراء (٩) رسالة في ابدال الادوية (١٠) كتاب في الفرق بين العلل التي تشتبه اسبابها وتختلف اعراضها (١١) رسالة في التحذر من اخراج الدم من غير حاجة دعت الى اخراجه (١٢) رسالة فى الزكام واسبابه وعلاجه (١٣) رسالة في النوم واليقضة (١٤) مجربات في الطب (١٥) مقالة في الجذام واسبابه وعلاجه (١٦) كتاب الخواص (١٧) كتاب

نصائح الابرار (١٨) كتاب المختبرات (١٩) كتاب في نعت الاسباب المولدة للوباء في مصر وطريق الحيلة في دفع ذلك وعلاج ما يتخوف منه (٢٠) رسالة الى بعض اخوانه في الاستهانة بالموت (٢١) رسالة في المقعدة واوجاعها (٢٢) كتاب المكال في الادب (٢٣) كتاب البلغة في حفظ الصحة (٢٤) مقالة في الحمامات (٢٥) كتاب اخبار الدولة يذكر فيه ظهور المهدي بالمغرب (٢٦) كتاب الفصول في سائر العلوم والبلاغات (٢٧) كتاب زاد المسافر في علاج الامراض مجلدان وهو الذي قرضه كشاجم احد الشعراء بقوله :

ابا جعفر ابقيت حيا وميتا * مفاخر في ظهر الزمان عظاما
رايت على (زاد المسافر) عندنا * من الناظرين العارفين زحاما
فايقنت ان لو كان حيا لوقته * يوحنا لما سمى التمام تماما (١)
ساحمد افعالا لاحمد لم تزل * مواقعها عند الكرام كراما

لكن ويا للاسف لم يبق من هذه المؤلفات النفيسة فيما نعلم إلّا القليل ككتاب « زاد المسافر » حيث توجد منه نسخة تامة بمكتبة « الاسكوريال » بمدريد (مجريطة) وغالبها تلاشي بسبب ما اصاب القيروان في تلك العصور من الفتن والحروب

وقد سمي المستشفى الذي شيدته الاوقاف باعانة الدولة في عام ١٣٢٧ بمدينة القيروان باسمه تنويها بشانه وتخليدا لذكره

(١) يوحنا طبيب فايق الشهرة ومن اساطين النهضة العلمية العربية على عهد الرشيد والمامون والمعتصم والمتوكل من الخلفاء العباسيين وله تاليف كثيرة في الطب منها كتاب الكمال والتمام مات سنة (٢٤٣ ﻫ)

آراء فلاسفة الغرب

في اسباب انتشار الدين الاسلامي في الوقت الحاضر

يروق لنا ان نورد لقراء «الفجر» خلاصة ما وقفنا عليه من اراء بعض فلاسفة الغربيين من الاسباب التي مكنت الدين الاسلامي من سرعة الانتشار في جميع الاقطار في هذا الوقت الذي كثر فيه عند الامم الغربية خلع ربقة الدين والتملص من قيوده تماما وهو وايم الله نجاح باهر ينبئنا بمستقبل زاهر بحول الله تعالى

قال العلامة الدكتور قستاف لوبون: «مرت القرون وتوالت الاجيال ولم يبق من مدنية العرب إلّا الرسوم والاطلال والتحقت تلك المدنية بما يصح ان يطلق عليه لفظ «تاريخ» لكن هل يمكن لنا الجزم بذلك? كلا لان الديانة واللغة العربيتين لا تزال الان في الشيوع مثلما كانت عليه فى عصر شباب العرب . فان اللغة العربية هي اللغة الرسمية من المغرب الى الهند وسير الاسلامية فى معارج الترقي والنمو ليس بالفاتر ولا المتواني

الى ان قال: «ان السهولة العجيبة التي ينتشر بها القرآن حرية بالاعتبار بنوع خاص فاينما يمر المسلم نوقن ان دينه يمكث في الارض التي مر منها ويتاصل فيها بما لا سبيل لقطعه . فكذلك نرى بعض البلاد التي لم يطاها المسلمون بصفة فاتحين بل على سبيل الاتجار مثل افريقيا الوسطى والروسيا والصين يبلغ اشياع النبي (صلى الله عليه وسلم) هناك الملايين

كل ذلك وقع اختيارا ولم يكن للسيف فيه مجال ولم يسمع بان قوة حربية جاءت لاعانة اولئك التجار العاملين عمل الدعاة . ففي الهند الان نيف وخمسون مليونا من المسلمين في حين ان جميع المجهودات التي بذلها دعاة النصرانية اخفقت ومساعيهم للتحصيل ولو على عدد قليل من المتنصرين احبطت هذا مع ان حكوماتهم وجمعياتهم تمدهم بالمساعدات التي اهمها بذل المال في كل آن وحال وفي اواسط افريقيا نجهل عدد المسلمين ولكن على ما اخبر به السياح انهم وجدوا عدة قبائل اعتصموا بالاسلام الى اقصى نقطة وصلوها . قالوا ان المسلمين هناك لازمون لتمدين الاقوام المنغمسين في ضحضاح التقهقر وهم يبذلون في سبيل ذلك جهد طاقتهم ونفيس اوقاتهم حتى اثمر ما غرسوا واينع ما زرعوا فنعم الصنيع الذي صنعوا

قال المسيو دوفال : « بفضل الاسلام اخذت الاصنام والمعبودات تمحي شيئا فشيئا من الكرة الارضية والنذور البشريه والتآكل بين بني الانسان اضمحل او كاد . وقانون الزواج ضبط وربط . والوشائج العائلية قررت ودعمت . والعبد صار احد اعضاء العائلة وفتحت في وجهه ابواب كثيرة نحو الحرية والاستقلال . وايقام الصلاة وايتاء الصدقات واقراء الضيف طهر الاخلاق ورفعها الى مستوى الفضيلة والفخار . وعواطف الرحمة والعدل والرفق تمكنت من الضمائر . والولاة علموا ان لهم واجبات مثل عامة الشعب . فاستقر المجتمع هناك على دعائم قانونية متينة

واذا ارتكبت مخالفات لهذه النواميس فان ذلك لا يخلو منه اي مكان

ومع ذلك فان العدل السماوى ينتظر المرتكبين بعقابه الشديد . واذ فكر اولئك الاقوام بان وراء هذه الحياة حياة اخرى اسعد من هذه تتدارك ما الحقته الاولى من تعب ونكد لا ريب ان ذلك مما تطمئن به انفسهم فتريض على احتمال مضض الالام خصوصا من رشقتهم الايام بسهامها وصوبت نحوهم سنانها . تلك هي بعض مزايا المسلمين على الجمعيات المتوحشة وان كانت لا تحصى واكثر من ان تستقصى . »

على ان الحركة الاسلامية انتشرت في الصين اكثر منها في سواها فان في نفس البلاد التي اعيا دعات النصرانية امرها واقروا بعجزهم وقصورهم امامها نال الاسلام فيها فوزا باهرا ونجاحا . ونحن اليوم نعلم ان عدد الدائنين به يبلغ العشرين مليونا ! (كذا) وان لمدينة بكين وحدها مائة الف . قال المعلم فاسيلوف : « ان الاسلامية دخلت الى قطر ابن السماء وستتوصل تدريجا الى الحلول محل مذهب ساكيمونى والجلوس في مكانه كما هو راي المسلمين الصينيين . »

وقال العلامة هوداس : « وهنالك امر حري بالاعتبار وهو ان الاسلامية من بين سائر الديانات الحالية قد امتازت باستهواء عدد كبير من البشر في كل يوم بدون ان يكون لذلك نظام خاص مثل ما هو مشاهد في الارساليات المسيحية مثلا . ذلك لان كل مسلم عامل يداب لنشر دينه وبثه بين الملا لا يحتاج في ذلك لادنى مساعدة مادية ولا ادبية ولا يرجو جزاء ولا شكورا . انما يسوقه الى ذلك الفوز الاخروي وما ينتظره حين ينقلب الى ربه من النعيم المقيم . فبينما هو مقبل على شانه مستمر في عمله تراه يحاول في استمالة من حوله الى

مذهبه وحملهم على الاعتقاد انه الحق من ربه لا بالاقاويل الكاذبة والمواعيد الباطلة بل بالقدوة الصالحة وحسن السلوك . ويزداد فوزه تحقيقا اذا كان بازاء اقوام بسطاء على السذاجة الاولى كما هو الشان في مجاهل افريقيا . اما في البلاد المتمدنة فالانتشار بطي التسيار - شان العقول المفكرة لا تنبذ مذهبا او مبدأ إلَّا بعد التدبر والافتكار ولا تنتهي في اللجاج إلَّا اذا افحمها الدليل بعد العناء الطويل - فتمحض من ذلك ان عدد المسلمين آمن من غائلة النقصان خصوصا وان التناسل منتشر في البلاد التي تقع فيها دعوتهم بخلاف الديانات الاخرى فانه يلحقها اضرارا كل يوم متزائدة بسبب حرية الفكر والخروج من قيود الدين وهذا النقص لا يعوضه العدد القليل من المعمدين الذين تجلبهم بشارة دعاتهم .

ولقائل ان يقول ان انتشار الاسلام لم يقع إلَّا بين ظهراني امم سافلة او بعبارة اخرى الامم المنحطة في التمدن عن درجة اروبا وانه يمكننا ان نحكم بان هذه الحركة آيلة الى الوقوف يوم يتم دخول سكان الاقليم الاسود فى الاسلام فنجيبهم بان ليست هناك ولا قرينة واحدة تويد مدعاهم لاننا نرى هذا الدين عم ليس فقط الهند والصين بل ان اروبا اخذت تحس باثاره

فقد تكونت في ليفربول جامعة اسلامية السواد الاعظم منها مركب من نساء انكليزيات - وهذا من الغرابة بمكان - ثم حاولوا في امير كا ان ينسجوا على هذا المنوال لكنهم والحق يقال لم يتوصلوا الى الان لنتيجة محسوسة . على انه ولئن كانت نتائج ذلك ضعيفة الان فلا ينبغي نسيان

ان الفكرات الدينية في بلاد مثل انكلترة واميركا لا تلبث ان تسترسل بمجرد ما تقطع العقبات الاولى التي تتعرض لكل ابتداع عند نشوءه وانه يكفي حدوث فرصة ملائمة ليجد صدى الاسلام رنة عظيمة في قلوب الكثيرين من سكان هاتيك الاصقاع ـ

وكثيرا ما تعلن الجرائد العربية اسلام بعض الافراد في الاستانة وتونس والهند ويلوح ان هؤلاء المهتدين نساء كانوا او رجالا يهودا او نصارى انما يسلمون لمقصد مجرد عن الاغراض الشخصية في الغالب

فانى لنا بفهم سر ذلك في دين مضى على ظهوره ما يربو على الثلاثة عشر قرنا ـ وشعاعه ما زال يخترق النفوس وتصل كهربائه الى اعماق القلوب مع ان ناشريه لا يلجئون الى استعمال الوسائل ونصب الحبائل ولا يستاجرون ادنى عصابة لهذا الغرض .

لاشك ان من دقق النظر وسبر الاشياء بمسبار البصيرة يرى ان اهتداء الناس لهذا الدين لم يكن جزافا بل لما آنسوه من فضائله وموافقته للفطرة « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون »

مطبوعات جديدة

القيروان - جريدة اصلاحية علمية ادبية تصدر في يوم الثلاثاء من كل اسبوع بمدينة القيروان لمديرها الاديب الشيخ عمر العجرة فنرجو لها النجاح والرواج

***

التصاوير التونسية - صحيفة اسبوعية تصويرية سياسية ادبية انتقادية اشتراكية تصدر بعاصمة تونس لصاحبها الغيور السيد عبد العزيز المحجوب صدر العدد الاول منها مطبوعا على الحجر ومحلي برسوم كثيرة تمثل الاحوال التونسية باجلى شكل واحسن بيان وقد سدت ببروزها الفراغ الموجود في هياة صحافتنا لانها هي الجريدة الوحيدة التصويرية . لكن ويالاسف فان غوائل السياسة اغتالتها في اول يوم من حياتها واحرمتنا من تشخيصها الرائق وتمثيلها البديع

***

حياة الشعر واطواره - اهدانا صديقنا المحترم الشاعر المطبوع السيد محمد الشاذلي خزنه دار نسخة من المسامرة التي القاها في جمعية قدماء المدرسة الصادقية في موضوع حياة الشعر واطواره وهي لعمر الحق درة نفيسة وآية من آيات الذوق الفائق والنقد الصحيح ولا غرو فان المسامر من علية شعرائنا وفحول ادبائنا . وقد طبعت بشكل لطيف في القالب الربعي في اثنين وخمسين صحيفة وثمن النسخة فرنكان فنحث الادباء على اقتناء هذا الاثر النفيس

***

La Tunisie Nouvelle - تونس الجديدة - جريدة سياسية ادبية اخبارية اصدرها باللسان الفرنساوي عشرون شابا تونسيا من المسلمين والاسرائليين للمناضلة عن التونسيين والمطالبة بحقوقهم الشرعية واحكام عرى الاتحاد والتضامن بين المسلمين والاسرائليين التونسيين وقد جعل اصحابها منهجها السياسي مرتكزا على القواعد الدستورية الديمقراطية ونحن نرحب بهذه الرصيفة ذات المبدا السياسي القويم ونرجو لها الرواج والانتشار

مباحث قانونية

تحت هذا العنوان ننشر سلسلة مقالات جاد بها يراع الاصولي البارع وطنينا السيد محمد نعمان احد مشاهير المحامين بتونس

عدم الوفاء بالالتزامات وما يترتب على ذلك

مطل المدين

فصل ٢٧٥ والذي بعده من القانون المدني التونسي

الالتزام بعمل شيء هو الذي نتيجته عمل شيء . والالتزام بعدم عمل شيء هو الالتزام بالامساك على عمل شيء . واما الالتزام باعطاء شيء فهو الالتزام بنقل حق استحقاقي . والالتزام بتسليم شيء اما انيكون نتيجة التزام باعطاء شيء او نتيجة التزام بعمل شيء . فهو يتبع في

الصفة الالتزام المنتج له. كل التزام بعمل شيء او بعدم عمل شيء يعد من المنقولات ضرورة ان العمل و الامساك عن العمل من المنقولات. وبما ان الحقوق تتعلق بمنقول او بعقار فالالتزام بعمل شيء او بعدم عمل شيء من الحقوق التي لا تتعلق إلّا بالمنقولات. الا ترى ان الالتزام ببناء دار انما هو التزام بعمل لا التزام بدار.

قال الفصل ٢٧٥ من المجلة المدنية التونسية: « اذا التزم احد بعمل شيء طولب بالخسارة عند عدم العمل» اذا وقع التزام بعمل شيء ولم يباشر الملتزم ما التزم به طولب بالخسارة. هذا معنى الفصل الظاهري. ولكن في العمل تفاصيل. لا يمكن فهم هذا الفصل بان الحكم لا يكون إلّا بالخسارة اذا امتنع الملتزم باتمام ما التزم به والغاء اصل الالتزام. فان وقع ذلك مس جوهر العقد والقاعدة الاصولية المتعارفة من ان العقود قوانين المتعاقدين (الناس عند شروطهم). وحينئذ للملتزم له طلب اتمام الالتزام وهذا راي جم غفير من شراح القانون الفرنساوي من ان الحاكم مجبور بالحكم بالزام الملتزم باتمام ما التزم به مع اداء خسارة. فيكون فهم قاعدة هذا الفصل ان الملتزم له يطلب اتمام الالتزام ما لم يكن الاتمام يتوقف على ذات الملتزم. وإلّا يحكم بالخسارة وذلك لان اكراه الملتزم على اتمام التزامه بالقوة الجبرية ممنوع احتراما للحرية الشخصية و الاداب العامة. وتشخص هذه القاعدة في صورة دهان يلتزم بدهن دار ان لم يتمم ما التزم به فلا وجود لطريقة لاكراهه فيحكم بالزامه باداء خسارة. نعم يمكن اكراه هذا العامل على اتمام ما التزم به بايقافه في السجن الى ان يتمم

ما التزم به ولكن قد صار ذلك في هذه العصور غير ممكن وبعد ما وضع القانون التونسي هذه القاعدة باحترام ذات الملتزم في اول الفصل زاد فى شرحها وايضاحها بقوله « فان كان الالتزام لا يتوقف اتمامه على ذات الملتزم جاز للملتزم له ان يجريه بواسطة غيره من مال المدين ... »

يوجد فرق بين الاصل الذي باللسان العربي والاصل الذي باللسان الفرنسوي. ففي الاصل العربي ان الملتزم يطالب بالخسارة عند عدم اتمامه ما التزم به وفي الاصل الفرنساوي : ان الالتزام بعمل شيء يحل بالغرامة عند عدم الاتمام. فان كان الاصل باللسان الفرنساوي فالترجمة ناقصة عبارة يحل اقرب للحقيقة وتدل على وجود مشكل يستدعى انتباه الحاكم ودقة تامله في اصل الالتزام فان كان هذا الالتزام يتوقف اتمامه على ذات الملتزم يحل الشكل بالزامه باداء الخسارة. وصورة ذلك ان رجلا حصل على التزام من دهان مشهور بدهن الصور بحيث لا يقدر غيره عليها. فان امتنع من اتمام ما التزم به كيف يعوض بغيره ؟ فيقع حل هذا المشكل بالحكم عليه بالخسارة فيدفعها او انه يتمم ما التزم به اذا رضى الملتزم له. فقوله « ان يجريه بواسطة غيره بمال المدين » زائد لانه من الالتزامات التي لا يقدر غير الملتزم على اتمامها. ثم ان في العمل يحكم باتمام الالتزام على نفقة الداين وعلى نظر المنفذ ثم يقع الرجوع . واذا يقع تطبيق هذه المادة على ظاهرها يتوقف اتمام الالتزام على تقديم العمل بحكم تحضيري ثم الزام الملتزم بتامين المال وبعد ذلك يقع الشروع في اتمام الالتزام وكل ذلك يستدعي زمنا طويلا وربما تتوقف الاعمال امام عسر الملتزم

وللملتزم له في الالتزام بعدم عمل شيء ان يطلب هدم ما احدث مخالفا للالتزام مع احترام القاعدة ان كان اتمام ذلك لا يتوقف على ذات الملتزم . وصورة ذلك ان جارا التزم لجاره بعدم سد طريق يمر منه لداره فاذا يسد الطريق للملتزم له ان يطلب من الحاكم الاذن له بهدم السد على نفقة الملتزم مع خسارة في مقابلة المدة التي منع فيها من المرور وبهذا اتى فصل ٢٧٦ من المجلة « اذا كان موضوع الالتزام النهي عن عمل شيء فالملتزم مطلوب بالخسارة بمجرد مخالفته لذلك وحينئذ يسوغ للملتزم له ان يطلب اذن الحاكم بازالة ما اجراه الملتزم المذكور ومصروف ذلك من مال المخالف » . ولكن ظاهره يرى وجوب الحكم بالخسارة بمجرد عدم الاتمام وقد ذكرنا ان الاصل الحكم بالاتمام وان الخسارة لا تاتي وحدها إلّا اذا توقف اتمام الالتزام على ذات الملتزم وصور الالتزامات التي يتوقف اتمامها على ذات الملتزم قليلة جدا وهي المنحصرة في الامور الفنية . وهنا خلاف ظاهري بين القانونين التونسي والفرنساوي (فصل ١١٤٢) فالاول يرى وجوب العقاب بالخسارة بمجرد المخالفة ويترك اصل الالتزام والقانون الفرنساوي يرى الحكم باتمام الالتزام ما لم يتوقف اتمامه على ذات الملتزم لعدم امكان جبره مع اداء خسارة في مقابلة المدة الممتدة بين تاريخ الالتزام وتنفيذ الحكم باتمامه

(يتبع)